أياديكم مضرجة بالدماء

روبرت هويزر

ترجمة

د. ضرغام الدباغ

برلين
2015

أياديكم مضرجة بالدماء

تأليف : روبرت هويزر

ترجمة : د. ضرغام الدباغ

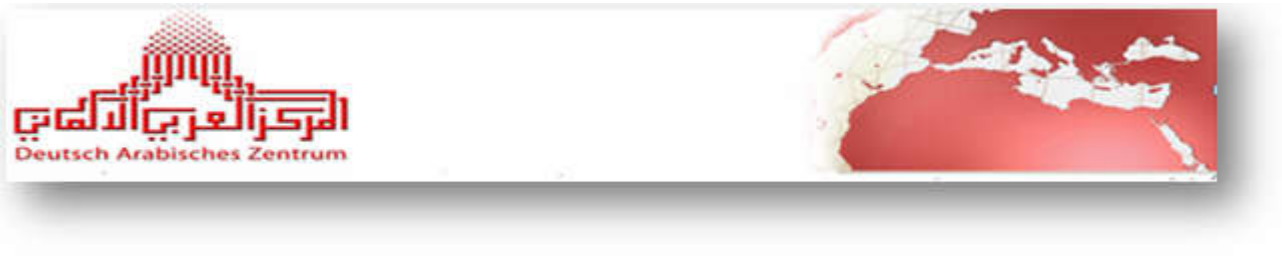

الطبعة الثانية

المركز العربي الألماني / برلين

2020

الرقم (42)

المطبوع مجاني

المؤلف

الجنرال / الفريق أول روبرت ارنست هويزر Robert Ernest Huyser (جنرال بأربعة نجوم) هو من مواليد: 14 / حزيران - يونيه / 1925 في ولاية كولورادو في الولايات المتحدة.

* تم تجنيده في الجيش(بعمر 18 عاماً) في نيسان عام 1943 ودخل عام 1944 برنامج تدريب الطيران.
* في سبتمبر 1944 تخرج من مدرسة الطيران وحصل على جناح الطيران والعمل كملازم ثان.
* عمل خلال الحرب العالمية الثانية في منطقة جنوب غرب المحيط الهادئ.
في أيار 1945 تم تعيينه بوصفه طيار قاصفات في كلوفيس، نيومكسيكو من آب 1946 إلى أيار 1947.

* خلال الحرب الكورية كلف بقيادة قاذفة قنابل القوات الجوية الشرق الأقصى كقائد للعمليات القتالية. خلال تلك الفترة طار في مهام القتالية.

* عاد إلى الولايات المتحدة في أيلول 1953 والذي كلف كرئيس قسم الطاقم القتالي، مقر الخامس عشر للقوات الجوية، قاعدة سلاح الجو كاليفورنيا. في شباط 1957 وأصبح رئيس شعبة التدريب، جناح هنس القاصف، فيرتشايلد قاعدة للقوات الجوية، واشنطن، وسمي مدير اً العمليات.

* عاد هويزر إلى المقر الخامس عشر للقوات الجوية في كانون الثاني / 1959 كقائد مساعد ثم رئيسا، مكافحة فرع العمليات. في تموز 1960 أنه أصبح رئيس شعبة خطط العمليات.

* دخل كلية الحرب الجوية في قاعدة ماكسويل الجوية، الاباما، في آب 1962.

* وبعد تخرجه في تموز 1963 شغل منصب رئيس فرع المفاهيم شعبة خطط العمليات، مقر القيادة الجوية الاستراتيجية، أوفوت قاعدة للقوات الجوية في ولاية نبراسكا.

* في تموز 1966 تولى مهام منصب نائب قائد جناح قاصف في قاعدة سلاح الجو كولومبوس، ميسيسيبي، وفي أيلول 1966 وتولى قيادة الجناح القاصف في Kincheloe قاعدة سلاح الجو، ميشيغان.

* عاد هويزر إلى المقر في نيسان 1968 وكلف بإدارة مكتب نائب رئيس الأركان للعمليات، ومديراً للقيادة والسيطرة.

* وفي شباط 1970 تولى مهام منصب مدير عمليات خطط ورئيس شعبة الخطة التشغيلية واحدة متكاملة، فريق التخطيط الاستراتيجي الهدف المشترك.

* كان مشاركته الرئيسي في حرب فيتنام ما بإدارة خطة طوارئ لمقر القيادة الميدانية. لمنطقة جنوب وطار في مهام قتالية ودعم في فيتنام وتايلند.

* عمل كقائد للطيران الأمريكي في أوربا 1975/ 1979 .

* وكقائد لقيادة النقل الجوي العسكري في قيادة الطيران الأمريكي 1979 / 1981 .

* بلغ هويزر رتبة فريق أول (جنرال بأربعة نجوم) عام 1078.

* تقاعد عام 1991، وتوفي عام 22 / أيلول ـ سبتمبر / 1997 في مستشفى القاعدة الجوية ترافيس (Travis Air Force Base).

(الصورة: روبرت أرنست هويزلر برتبة فريق).

رؤية تحليلية للمذكرات / المترجم

* الجنرال هويزر ضابط في الجيش الأمريكي، ولكنه لم يعمل قط في ما له علاقة بالسياسة، شؤونها أو شجونها، أسرارها، ومناوراتها، لذلك مجرد اختياره وهو الضابط الذي قضى عمرة في صنف فني/ قتالي بحت،(38 عاماً في سلاح الجو)، لم يعمل في الإدارات السياسية الأمريكية في البلدان الصديقة والحليفة (كان يعمل عند اختياره لهذه المهمة، قائد القوات الجوية في أوربا)، ومشاركاته في الحروب الخارجية كانت فنية الطابع لا علاقة لها بالسياسة، كصنف الاستخبارات، أو المخابرات، أو الإدارات السياسية الأمريكية في العديد من البلدان التي تواجدت فيها قوات أمريكية.

* مجرد اختيار ضابط بهذه المواصفات البعيدة كل البعد عن طبيعة المهمة التي قام بها في طهران، وافتقاره إلى الخبرة والتجربة في دولة (الولايات المتحدة) لا تشكو من قلة ضباط أمن واستخبارات ذوو تجارب كثيرة في العديد من البلدان، مجرد اختياره (ويستبعد أن يكون هذا الاختيار عفوياً) ربما لمهة، لا يراد لها النجاح أصلاً.

* زج بهذا الضابط المحترف، للعمل مع سفير مخضرم (Carer Diplomat) يتوقع منها كل إداري حصيف أن لا يتفاهما، بل وأكثر من ذلك، فمنذ اليوم الأول لوصوله طهران، بدا التناقض الحاد غير خاف في وجهات نظرهما، في حين يفترض أن الخطة والهدف لن يتحققا ويتكاملا إلا باجتماع المسارين العسكري والسياسي معاً.

* من المؤكد أن البيت الأبيض أدرك منذ اليوم الأول، أن البعثة الأمريكية في طهران بشقيها السياسي / العسكري يعملان بأتجاهين مختلفين ومتناقضين إلى حد كبير. ورغم ذلك لم تبذل الإدارة الأمريكية (مصدر القرار السياسي) أية جهود، ولا حتى التوجيهات في فهم جذر هذا التناقض الكبير وأسبابه، والعمل على وضع توجه تعمل به البعثة في طهران، بل ربما لأنها كانت تديره وتديمه.

* أدى ارتفاع أسعار النفط عالمياً، إلى ارتفاع مداخيل البلدان المنتجة للنفط، مما سيقود بالتالي إلى تطورات داخلية وخارجية، وبدا أن الشاه يرى في إيران مشروع قوة عالمية في الشرق الأوسط، مما يطرحه في وضع أفضل في سياسات الشرق الأوسط، ويقدم تحالفه الاستراتيجي مع الولايات المتحدة إلى مرتبة تفوق ما تريده الولايات المتحدة، كان الشاه يرى أمكانية قيادة إيران ليس للمنطقة فحسب، بل وأخذ يخطط لدور إيراني في منطقة المحيط الهندي، ساعياً لتكوين كتلة دولية تقودها إيران والهند وجنوب أفريقيا، وهو ما لم تكن الولايات المتحدة تراه.

* وفي أواخر السبعينات (1978/ 1979/ 1980) تشكلت مرتسمات رؤية جديدة للشرق الأوسط، لهذه الرؤية والقرار أسبابها السياسية والاقتصادية، والموقف السياسي الإقليمي والدولي(الشرق الأوسط في أعقاب حرب تشرين / 1973، أفغانستان، الأحداث في بولونيا، انهيار النظام العنصري في جنوب أفريقيا) وفي سياق الرؤية الاستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط، وجدت الولايات المتحدة حيالها أن نظام الشاه لم يعد يفي بدرجة كافية بمتطلبات المرحلة المقبلة في ظل هذه المعطيات والظروف، يأتي أختيار هويزر لهذه المهمة.

* يبدو لمطالع هذه المذكرات، وفي تحليلها، أن الإدارة الأمريكية نفسها لم تكن تخلو من عدم وضوح كاف للخط الذي تنتهجه. ولكنهم في الإدارة الأمريكية وروافد القرار السياسي الأمريكي (وزارة

الخارجية، البنتاغون "وزارة الدفاع" ووكالة الأمن القومي، (CIA) البيت الأبيض "الرئيس ومستشاروه" وربما جهات مؤثرة أخرى) ربما لم يكونوا متفقين على خطة تفصيلية متكاملة الأطراف، إلا أنهم كانوا **متفقين على أمر واحد، أن الشاه لم يعد يصلح، وبعبارة دقيقة " لقد دقت ساعة الشاه" ولابد من أن يمضي، قبل أن يسقط الحكم بأيدي قوى وأيدي لا تحبذها واشنطن** (حزب تودة، بل أنها لم تكن متحمسة حتى للحركة الوطنية الإيرانية بازركان، بختيار).

* كان الشاه مصاباً بالسرطان، ومرض رئيس البلاد من أسرار الدولة المهمة، والولايات المتحدة كانت تعلم بذلك وبأنه في مرحلة متقدمة(توفي بعد سنة وبخمسة شهور– يوليو / 1980)، ولكن من المرجح أن خبر مرضه قد تسرب إلى المعارضة (الخميني بصفة خاصة)، وربما إلى جهات أخرى، إذ أدركت المعارضة أن كل ضربة مهما كانت بسيطة هي موجعة للنظام، ستؤدي إلى تفكك الدولة، وتزيد من قوة المعارضة.

* يبدو واضحاً من خلال المذكرات، أن الرجل يفتقر إلى القدرة في الكتابة، ورغم أننا نرجح أنه تلا المذكرات على شخص آخر ليصيغها، ألا أن المذكرات تمنح أنطباعاً عن شخصية كاتبها، فهو يدون مذكراته / ملاحظاته بصيغة البرقية (Telegram Stiel) أو إيجاز موقف عسكري، ورغم أن الكاتب يبدو أنه صريحاً، إلا أنه في النهاية لم يذكر بذلك القدر من الصراحة جوهر موقف الولايات المتحدة من الشاه ونظامه، والموقف من نظام الخميني.

* تجدر الملاحظة إلى مواقف الجنرال الكسندر هيغ(القائد العام لقوات حلف الناتو 1974 /1979)، في معارضته لقرارات السياسية الإدارة الأمريكية، في اعتبارها ضعيفة، ويسود عدم الأنسجام بين عناصرها الأساسية (فانس، براون، برجنسكي)، علماً أن هيغ تولى وزارة الخارجية في مطلع ولاية الرئيس ريغان، ولم يطل به المقام فتركها سريعاً.

* يلاحظ الإذعان التام للشاه للمبعوثين الأمريكان، لدرجة تلقي الأوامر، ومثله كبار قادة القوات المسلحة، وإنه لأمر محير حقاً، أن يتصرف قادة برتب عالية ومواقع قيادية كبيرة: رئيس الأركان المشتركة، قائد سلاح الطيران، قائد القوات البرية، قائد القوات البحرية، ..ألخ .. وكأنهم جنود لدى الموفد العسكري الأمريكي، وعلى هذه الدرجة من الضعف، والتردد وفقدان الرشد.

* في بداية المذكرات، هناك حقيقة واضحة، أن الإدارة الأمريكية كانت منقسمة بصدد الوضع في إيران في بداية الأزمة، مطلع عام 1978، بين الخارجية والسفارة في طهران وهي تدعو لحل يتجاوز الشاه، فيما يرى مستشار الأمن القومي والبنتاغون دعم الشاه ضد خصومه، ولكننا سنلاحظ أن الجهات الداعمة للشاه، ستسلم بخلعه، مقابل أنقلاب عسكري، فيما طور المعسكر الآخر: الخارجية والسفارة إلى القبول بمهدي بزركان، أو التعامل مع الخميني نفسه.

* كانت المخابرات الأمريكية (CIA) على صلة بالخميني وجهازه السياسي عبر عناصر عديدة، (صادق قطب زادة، إبراهيم يزدي وآخرون) عندما كان لا يزال في باريس، وكانت طائرته في رحلة في عودته إلى طهران بحماية الطائرات الأمريكية).

* كان الفريق أول هويزر قد زار إيران لعدة مرات في أوقات متفاوتة، ولكن بمهام عسكرية / فنية صرفة (مبيعات أسلحة، تأسيس مراكز قيادة عسكرية) لا علاقة لها بالسياسة البتة.

* كتبت صحيفة الهيرالد تربيون الأمريكية عن مهمة هويزلر: **"على الجنرال هويزر أن يحول دون إنقلاب عسكري الذي يعده العسكريون الإيرانيون الذي خططوا له مع الشاه ". وبنفس المعنى ذهبت صحيفة البرافدا الموسكوية،** وهذه الطبيعة للمهمة تكشف عن نفسها خلال مقاطع عديدة من مذكرات هويزر.

* من الصعوبة الاعتقاد أن الإدارة في واشنطن أشتغلت على هدفين متناقضين، عفوياً، وإلا ستكون إشارة على هزال غريب في أتخاذ القرارات السياسية / العسكرية وتنفيذها، وهو أمر لا يمكن تصوره في عمل إدارة كالإدارة الأمريكية **" كانوا يريدون أن يرغموا المئات من كبار الضباط الإيرانيين على مغادرة البلاد، وعلى العكس من مهمتي في حثهم على البقاء ودعمهم. "**

* وهذه الحقيقة تفصح عن نفسها بتردد، والجنرال يريد أن يذكر شيئ عن بعثته، ولكنه لا يذكر الحقيقة كلها: بل جزء منها، بقوله: **وعندما حضرت لدى السفير سوليفان، سلمني برقية من وزير الخارجية سايروس فانس. وفيه بلغت بتعليمات، أعتبار كافة التعليمات السابقة غير ضرورية**. ومن الواضح ينبغي علي أن أباشر الاتصالات المتفق عليها مع العسكريين الإيرانيين، بل على أن أنتظر تعليمات من واشنطن. وفي أتصال لاحق لوزارة الخارجية مع السفير في غرفة الهاتف الآمن في السفارة، يسمع هويزر بأذنيه: **,, نأمل، أنك وحدك في الغرفة، هذا لك فقط لك، ولا ينبغي أن تقع عليه أنظار الجنرال هويزر بتاتاً ".** ويكتب هويزر بصراحة أن واشنطن لم تكن ترغب أن تكون هناك تقارير تحريرية، وبعد إصرار هويزر وافقوا على أن تكون بعنوان(مقترحات ـ مشاريع).

* عبر رئيس الوزراء السابق بختيار في مقابلة مع مجلة دير شبيغل الألمانية، بعد مغادرته إيران، معلقاً على مهمة الجنرال هويزر، أن الولايات المتحدة لم تكن تمتلك برنامجاً أو رؤية واضحة، ومهمة هويزر كانت مهمة مستحيلة. الجنرال والسفير سوليفان، عملا كل ضد الآخر " **هويزر يعمل مع الجيش، وسوليفان مع الخميني** ". وبدون تدخلاتهم كنا سنسيطر على الموقف ". ولكن واشنطن كانت تريد " **ديكتاتورية عسكرية في إيران، من أجل إنقاذ الشاه "** حسب رأي بختيار. **بل والجنرال الكسندر هيغ (القائد العام لقوات الناتو/ وزير الخارجية لاحقاً) يصر على أن الحكومة الأمريكية كانت في الواقع تعمل على أن تسهل سقوط الشاه.**

* أما الامبراطور المخلوع فيكتب في مذكراته " ترى ماذا يريد أن يفعل هذا الجنرال الأمريكي في إيران " تساءل الإمبراطور في نفسه، وسرعان ما وجد بنفسه الإجابة: لقد رأيته خلال إقامته بأكملها مرة واحدة فقط، عندما رافق السفير سوليفان في محادثته الأخيرة معي، **وكان يبدو على كلاهما أنهما مهتمان بالإجابة على سؤال واحد: في أي يوم وأي ساعة سأغادر البلاد .. ! ".**

* أحد الذين كان هويزر يلتقيهم يومياً تقريباً، وهو أيضاً صديق حميم له، هو قائد سلاح الجو الإيراني الجنرال ربيعي، عبر درامياً في مرافعته قبيل إعدامه أمام قضاء الخميني عن مهمة هويزر بقوله " **الجنرال هويزر قذف بالإمبراطور كجرذ ميت خارج البلاد ".**

* وبعبارة واضحة **: كانت مهمة هويزلر الحقيقية تتمثل بمنع العسكريين من إنقلاب عسكري لمصلحة الشاة، الذي كانت الإدارة الأمريكية قد قررت رحيله أو خلق الظروف الموضوعية لرحيله، فيما كانت مهمة السفير سوليفان، الحيلولة دون تحرك سياسي يحبط هذا الهدف.** وقد عملت هاتان الشخصيتان بدون إدراك دقيق لمهتهما، وبدون تنسيق، ولكن بمؤدى واحد كان واشنطن تحركه، ولكن من هي القوة التي كانت مرشحة في المقام الأول لتأسيس نظام يتولى قيادة إيران .....؟ .

* الحكومة الأمريكية كانت مدركة تماماً أن الخميني سيعود فور مغادرة الشاه للبلاد، وهي قناعة مشتركة للسفير سوليفان، والجنرال هويزر، بل وحتى الإدارة في واشنطن، هل ترى لهذا السبب كان الإصرار على رحيل الشاه ...؟

* رغم أن هويزر لا تبدو عليه الرغبة بهتك أسرار الدولة، إلا أنه يعترف هنا بجوهر المسألة كلها بقوله: **" سوليفان كان يعتقد بكل جدية، أن جمهورية إسلامية بقيادة الخميني أفضل من الحكم عسكري، وأنه لا ينتظر شيئاً من بختيار، وإننا يجب أن نقف مباشرة خلف الخميني وإسناده "** فالمضي بسرد الأحداث التاريخية سيقود التحليل إلى حقيقة أهداف الولايات المتحدة.

* كان السفير، ويستبعد بالطبع أن يقوم بذلك بأجتهاده، فمن أولى مبادئ الدبلوماسية أن الدبلوماسي، والسفير في المقام الأول لا يعمل ما يدور في فكره وقلبه، فهو شخصية معنوية بالكامل، يرى ما تراه حكومته، ويعمل ما تطلبه منه حكومة بلاده. نراه في إيران يتصل بالجماعات الدينية المعارضة، ثم أتضح أنه يتصل بمهدي بازركان وآية الله بهشتي، وحتى هويزر يعترف أنه كان يحاول إقناع القادة العسكريين على التفاوض مع رجال الدين.

* ثم يفصح هويزر عن مكنونات الإدارة الامريكية من خشيتها أن تنتقل البلاد إلى قوى متطرفين، أو تسقط بأيدي (إرهابيين) أو شيوعيين، أن عناصر تعمل مع الاتحاد السوفيتي بقوله: **" نعم من المعروف أن قوى غير صديقة تحيط بإيران كالنسور التي تنتظر الفرصة الملائمة لتنقض، وقوى اليسار في الداخل تمثل تهديداً كبيراً، ولكن ينبغي أن نحتفظ بأوراقنا الرابحة حتى يصبح الخطر الخارجي جدياً ".**

* نعم الولايات المتحدة نفذت بدم بارد وبمسرحية ربما تنطلي على بعض المشاهدين، ما يطلق عليه في المستشفيات **" بالقتل الرحيم "** لنظام كان حليفاً لها، ينفذ أوامر ما تصدر إليه من توجيهات، ولكن لأسباب موضوعية وذاتية آن رحيل هذا النظام، فليأت نظام آخر:
ـ لا يكون موال لخصوم الولايات المتحدة.
ـ أن يهيج هذا النظام ويطلق عواصف وغبار ستغطس في المنطقة لعقود طويلة.
ـ سينجم عن كل ذلك ظروف عمل وتوسع مفيدة لنا.
ـ والنظام المقبل سيكون بحاجة لنا في توازنات المنطقة.

* هكذا في الواقع خططت الولايات المتحدة لحلول النظام الإيراني. وفي جرد بسيط لما جرى منذ عام 1979 وحتى الآن يشير بدقة وجلية إلى هذه النتيجة.

د. ضرغام الدباغ / برلين

أياديكم مضرجة بالدماء

تحرير : روبرت هويزر

ترجمة : د. ضرغام الدباغ

مجلة دير شبيغل، ألمانيا هامبورغ، الأعداد 45 ،44 ،43 ،42 / 1986
Der Spiegel

****

مقدمة

مثل فأر ميت طرح خارج البلاد
Wie eine tote Ratte aus dem Land geworfen

المذكرات تبحث في دور الدبلوماسيين الأمريكيين والجيش في عملية الإطاحة بشاه إيران، في هذا البلد الذي يقدم للعالم مادة خام رئيسية(النفط)، ويقود أحد أقوى الجيوش في العالم، هذا البلد الصحراوي الذي كان يعتبر القوة الخامسة في العالم: الشاه رضا بهلوي وحتى سقوطه في مطلع عام 1979.

وما يزال الغموض يكتنف الدور الأمريكي، الذين يمثلون الحليف الأهم حتى اليوم، الرجل الذي أوفدته واشنطن في اللحظة الأخيرة إلى طهران، لينقذ (لمصلحة الولايات المتحدة الأمريكية) ما يمكن إنقاذه وبمساعدة العسكريين الإيرانيين. إنه الجنرال (الفريق أول طيار) روبرت هويزر يكسر جدار الصمت.

****

كان الرسالة التي كان على الدبلوماسي الأمريكي إيصالها من حكومته إلى الشاه، الحاكم المطلق لشعب يتألف من 35 مليون شخص، رسالة غير عادية للغاية. فواشنطن، وهذا ما حاوله السفير الأمريكي في طهران وليام سوليفان إبلاغه للشاه رضا بهلوي " بأقصى درجات التهذيب " بأن من الأفضل بل أن مصلحة إيران والملك، تكمن في مغادرة الشاه للبلاد، ويكتب الدبلوماسي (السفير سوليفان) في مذكراته "بعثة إلى إيران": أن الشاه فرد ذراعيه، وسأل بلهجة توسل تقريباً "نعم، ولكن أين يجب أن أذهب ؟ ".

سوليفان هو الآخر لم يكن يعلم إلى أين. فالتعليمات التي بحوزته لم تتطرق إلى هذه المشكلة، فما كان منه إلا أن يبادر فيذكر الشاه بأنه يمتلك بيتاً في سويسرا، " ولكن هناك لا يتوفر الأمن بما فيه الكفاية"، علق الشاه قائلاً، وأردف، "ولدينا بيت في انكلترة، ولكن الطقس سيئ جداً هناك ". ثم ساد صمت بين الشاه والسفير، حتى بادر السفير سوليفان لتفادي الإحراج قائلاً: هل ينبغي على البحث في إمكانية توجيه دعوة لكم للولايات المتحدة ؟ ".

" أحقاً ستفعل ذلك ؟ " قال الشاه فرحاً. وفي غضون 24 ساعة، وافقت واشنطن على مقترح السفير، وإقامة الملك في مهجره ستكون في مسكن السفير الأمريكي السابق والتر أننبيرغ في كاليفورنيا، وبالطبع لفترة محدودة.

كان ذلك في بداية يناير 1979. وبعد ذلك بأسبوعين، كان الشاه خارج البلاد، ولكن ليس في أمريكا على

أية حال، بل في ضيافة صديقه السادات في مصر. ثم في الولايات المتحدة، حيث توفي في يوليو 1980 وجاء خلعه من التاج في وقت لاحق بعد بضعة أشهر. ثم أطلقت فيما بعد واحدة من أسوأ الأزمات السياسة الخارجية الأميركية، التي استغرقت أكثر من 14 شهرا عندما أحتجز 52 أمريكياً من موظفي السفارة الأمريكية في طهران كرهائن، في الدولة الإيرانية التي أصبحت دينية لآية الله الخميني.

هي قصة سقوط مفاجئة للإمبراطور الفارسي حكم لمدة 37 عاماً، من خلال سطوة بلاغة لرجل دين إسلامي بالتفاعل مع الجماهير المتعصبة الغير المسلحة، لا تزال تكتنفها الغموض وغير مفهومة تماما. وايضاً من خلال العجز والنفاق التي أظهرته قوة عالمية في مع أهم حليف لها في آسيا، الذي كان مدججاً بأسلحة حديثة وجيش يتألف من حوالي نصف مليون رجل.

والولايات المتحدة التي بدت عاجزة، وهي التي تمكنت بسهولة من إعادة الشاه إلى بلاده وإنقاذ عرشه(عام 1954) هي الآن عاجزة على القيام بأي عمل حيال احتجاز دبلوماسييها كرهائن التي تمثل واحدة من أشد علامات الذل والتدمير في تاريخها، كما أفسدت عملية إعادة انتخاب الرئيس كارتر.

وأصبحت إيران التي طالما مثلت المخفر الأمامي المطل على خليج النفط(هكذا يكتبها مؤلف المذكرات / المترجم)، وعلى الحدود الجنوبية للإتحاد السوفيتي، التهديد الأخطر لمصالح الولايات المتحدة بل وإلى بؤرة أزمات(لاحظ الحرب التي تدور منذ سنوات في الخليج) ومن النقاط الساخنة، وتتغير الخارطة الجيوستراتيجية، وتحولت أميركا بالنسبة لحكام طهران من الصديق الأكثر أهمية إلى " الشيطان الأكبر ".

قبل أكثر من عام، وقبل أن يجلس وراء مقود طائرة الهروب ليقودها بنفسه، لأنه لم يعد يثق بالطيارين، كان هو نفسه العاهل الذي يرى أن إمبراطوريته تعتبر واحدة من الدول الخمسة الأكثر نفوذاً في العالم، كان يعتقد أن بوسعه حل المشاكل العالمية من طهران، وأنه من (عجائب الدنيا) ويحلم بسوق مشتركة للدول المطلة على المحيط الهندي تحت القيادة الإيرانية، وأن يجعل من هذا المحيط بمساعدة جنوب أفريقيا وأستراليا جعلها منطقة آمنة عسكرياً وهي فكرة أيده فيها صديقه هنري كيسنجر.

والإمبراطور الذي لم تكن للديمقراطية له سوى تمثيلية هزلية، أعطى الأوامر في ذروة مجده لإقامة وتنظيم ندوة دولية، التي برئاسته تتولى حل المشكلات الدولية، ولاحت له بعض الأسماء في الهيئة العليا للندوة من أمثال: الأمريكيان هنري كيسنجر، وروكفلر، وإدوارد هيث البريطاني، ورئيس وزراء سنغافورة لي كوان يف، والألماني البافاري فرانز جوزف شتراوس.

وبينما كان يبحث عن الأعمال العظيمة في أقاصي العالم، تسلل العطب إلى عرش الطاؤوس بما تعجز عن علاجه سلطاته الأمنية، ولكنه لم يكن ليستوعب ذلك. فالمعارضة ضد الشاه كانت دائماً موجودة، من حزب تودة الشيوعي، والمثقفين اليساريين، والملالي، وأخيراً من كبار ملاكي الأرض أيضاً، وتقوم شرطته السرية (السافاك) بالتعامل مع الإرهاب، بالتعذيب والقتل، وخنق أي تمرد في مهده.

وهذا بالضبط ما أوصل الطاغية إلى المأزق، عندما وصل جيمي كارتر سدة الرئاسة الديمقراطي والناشط في مجال حقوق الإنسان. وكان الشاه قد حاول عبثاً دعم الجمهوري جيرالد فورد في حملته الانتخابية بمبالغ كبيرة، وبعدها أصبح الشاه بلا صديق أو حليف في واشنطن، ولم يعد الصديق المدلل للإدارة الأمريكية كما كان في عهد نيكسون ـ كيسنجر.

وترك الرئيس الجديد المنتخب (جيمي كارتر) برقية التهنئة التي بعث بها الشاه لأكثر من أسبوعين دون رد، وأمتنع حتى السنة الأخيرة من ولايته من دعوة الشاه لزيارة رسمية للولايات المتحدة، وأنتقد وزير خارجيته سايروس فانس الخروقات في حقوق الإنسان في إيران. فيما أبدل المدير الأسبق للمخابرات (CIA) بالدبلوماسي المخضرم سوليفان كسفير للولايات المتحدة في طهران..

وأخيراً عندما جاء الشاة وزوجته في نوفمبر / كانون الأول / 1977 بزيارة رسمية إلى الولايات المتحدة، كان بوسع الإيرانيين في بلادهم أن يشاهدوا عبر التلفاز والبث الحي إهانة أمبراطورهم، إذ تظاهر الإيرانيون في المنفى ضد زيارته، ثم اصطدموا بالفرس من أنصاره المرحبين به، فيما كانت غيوم الغاز المسيل للدموع تغطي الضيوف والمضيفين على حد السواء.

أسرع إبراهيم يزدي، رئيس رابطة الطلاب المسلمين في أمريكا الشمالية، بإبلاغ رئيسه الأعلى، آية الله الخميني، برسالة : " الصداقة مع الشاه في واشنطن انتهت، حان وقت العمل ".

وآية الله المنحدر من مدينة قم، والذي كان قد ناضل ضد والد الشاه، والذي أقسم من منفاه عام 1963، بأنه سيقلب نظام الشاه ذات يوم، حينما أبعد إلى العراق من إيران، ثم من باريس تولى قيادة 180 ألف من رجال الملالي، تولوا تنظيم الانتفاضة ضد الشاه رضا، الذي أطلق على نفسه لقب (شمس الآريين).

في قم وتبريز وأصفهان، وأخيراً في العاصمة ذاتها، سارت الجموع ضد الحكام المكروهين، هاتفين " الموت للشاه " الذي لم يعد يعرف كيف ينظم ردود فعله. هل يطلق النار ويثير المزيد من الغضب لسقوط المزيد من الشهداء، وبذلك تكتسب الجماهير قوة مضافة، أم يترك أعداؤه يتصرفون، مظهراً بتردده ضعف سلطته، وطوال عام 1978 تواصلت الأضطرابات الشعبية، والآلاف من القتلى، ولكن خوف الناس كان يتلاشي أكثر فأكثر من الطغيان، والسلطة التي يجسدها الملك الشاه رضا الذي تخيل نفسه يمتلك السلطة لوحده، " برؤيتي أنا " فقط يمكنهم الحكم، سقط في كآبة حادة، وإصابته بالسرطان قاومت كافة العلاجات، ولكنه يواصل العمل لساعات، ويورد بشكوى مرة عن جحود رعيته له، ومؤامرات حلفاؤه الولايات المتحدة وبريطانيا المزعومة بسبب ارتفاع أسعار النفط.

" إنهم يدفعونني دائماً وأبداً إلى الأمام صوب الليبرالية، هكذا يكتب في مذكراته، التي " ستقود حتماً إلى كارثة " . لاسيما إذاعة (BBC) البريطانية التي كانت تهاجم بعنف بالغ حكومته في برامجها باللغة الفارسية.

في نهاية عام 1978 كانت سلطة وأسطورة الحاكم المطلق قد بلغت نهايتها. ولم ينفع تبديل الحكومات المتعاقبة بوضع حد للإضطرابات. **وكان كارتر ممزق بين وزير خارجيته فانس، والسفير سوليفان، اللذان كانا قد توقعا خلع الشاه**، ويظنان أن سياسيين ليبراليين من أمثال رئيس الوزراء شاهبور باختيار أو مهدي بازركان يمثلان الحل الأفضل، **أما مستشار الأمن القومي برجنسكي والبنتاغون فكانوا بالعكس، يبدو لهم الشاه هو الأفضل كحامي للمصالح الامريكية في خليج النفط**.

فواشنطن لم تعلم إلا متأخراً أن مبعوثي المخابرات الأمريكية (CIA) الذين كانوا يزورون آية الله الخميني الذي فتح أبواب الجحيم للأمبراطور البهلوي صديق الإدارة الأمريكية،: المقيم في نوفيل لا شاتو بالقرب من باريس، لم يكونوا ليجلبوا معهم رؤى واضحة. وهنا قررت حكومة الولايات المتحدة، في الدقائق الأخيرة، أن تبعث إلى طهران المحاصرة مساعدة عاجلة. ففي 1 / كانون الثاني / 1979 تلقى الجنرال (ذو الأربعة نجوم) الفريق أول نائب القائد العام للقوات المسلحة الأمريكية المتمركزة في أوربا ومقره في شتوتغارت (ألمانيا)، تلقى الأمر بالتحرك إلى طهران، هناك لينقذ لأميركا ما يمكن إنقاذه.

المهة كانت بأعلى درجات السرية وهي تنص: ينبغي على هويزر أن يساعد الزملاء الإيرانيين (الجنرالات) بدعم و تأمين قوى لاستقرار الحكومة.

ما كان ينبغي على هويزر فعله في طهران، كان على الأقل معروفاً لصحيفة البرافدا الموسكوية، فيما كتبت صحيفة هارالد تربيون عن مهمة هويزر كلمة موجزة: **" على الجنرال هويزر أن يحول دون إنقلاب عسكري الذي يعده العسكريون الإيرانيون الذي خططوا له مع الشاه ".**

وبالنسبة للسفير سوليفان، الذي كان يعمل بلا هوادة على ترحيل الشاه، لم يكن الأمر واضحاً له ماذا يهدف إليه الجنرال هويزر فعلاً. وبدا له وكأنه في تقاريره، أو في تقارير هويزر إلى واشنطن نتحدث عن دولتين. وبدا عليه الارتياح عندما لم يطل المقام بهويزر واختفى فجأة كما ظهر فجأة .

ولم يكن القادة العسكريين الإيرانيين، الذين ينبغي أن يساعدوا هويزر في مهمته، يعلمون إلا قليلاً عن مهمته. ومن بين الجنرالات الذين يلتقيهم يومياً ويتحادث معهم، أحد الخبراء بسيرة خميني أمير طاهري، يكتب عنه هويزر" لديه ما يكفي من الفتنة والبلبلة لإحباط أي إجراءات جدية من قبل الجيش".

وقال رئيس الوزراء السابق بختيار لاحقاً لمجلة دير شبيغل، معلقاً على مهمة الجنرال هويزر، أن الولايات المتحدة لم تكن تمتلك برنامجاً أو رؤية واضحة، ومهمة هويزر كانت مهمة مستحيلة. الجنرال والسفير سوليفان، عملا كل ضد الآخر " **هويزر يعمل مع الجيش، وسوليفان مع الخميني** ". وبدون تدخلاتهم كنا سنسيطر على الموقف ". ولكن واشنطن كانت تريد " **ديكتاتورية عسكرية في إيران، من أجل إنقاذ الشاه "** حسب رأي بختيار.

ويكتب الشاه في مذكراته أنه بدوره لم يلحظ أبداً محاولة الإنقاذ المزعومة، وقد علم عن وجود هويزر بيوم واحد فقط بعد " المفاجأة الجديدة " على الرغم ان هويزر كان يحب المثول في القصر في كل زياراته السابقة " .

" ترى ماذا يريد أن يفعل هذا الجنرال الأمريكي في إيران "، تساءل الإمبراطور في نفسه، وسرعان ما وجد بنفسه الإجابة: لقد رأيته خلال إقامته بأكملها فقط مرة واحدة. عندما رافق السفير سوليفان في محادثته الأخيرة معي، **وكان يبدو على كلاهما أنهما مهتمان بالإجابة على سؤال واحد: في أي يوم وأي ساعة سأغادر البلاد .. ! ".**

أحد الذين كان هويزر يلتقيهم يومياً تقريباً، هو قائد سلاح الجو الإيراني الجنرال ربيعي، عبر درامياً في مرافعته قبيل إعدامه من خلال قضاء الخميني " **الجنرال هويزر قذف بالإمبراطور كجرذ ميت خارج البلاد ".**

وما فعله هويزر في طهران في الفترة ما بين: 4 / كانون الثاني - يناير ـــ 3 / شباط - فبراير / 1979 عبر عنها في كتاب وضعه بنفسه. ومذكراته في طهران التي ستنشرها مجلة دير شبيغل (Der Spiegel) بأربعة أجزاء، وهي وثيقة تكشف العجز وعدم الكفاءة، والغطرسة واحتقار البشر والسخرية تمارسها قوة عظمى، مع حليف يمر بأزمة.

وعندما حول السادة في القوات المسلحة الأمريكية، والقوات المسلحة الأمبراطورية بعضهم إلى كرات يتلاعبون بها، فيما إذا.. ومتى وأين سيزيحون آية الله، يحاول مبعوث خاص آخر، أن يحصي ويجمع الأسلحة المنهوبة، التي تنتجها الصناعات العسكرية الأمريكية التي زودت بها الشاه في أيام العز، وها هي اليوم لا تنفع شيئاً.

وعندما ضاع كل شيئ، وخلع الشاه، هل بقى لهويزر أن يدير أنقلاباً ..؟ وزملاؤه الإيرانيون قد ماتوا، أو هم رهن الاعتقال وبقي الجنرال اللواء فيليب غاست، رئيس البعثة العسكرية الأمريكية في طهران، الذي ينبغي عليه أن حسب تعليمات مستشار الأمن القومي برجنسكي أن يعمل على تنظيم انقلاب، يحاول إنقاذ السفير سوليفان بكل قواه من الاحتجاز من قبل المتطرفين.

وهويزر قدر فرص نجاح انقلاب عسكري 5% كأقصى حد، وهذا بالنسبة لواشنطن ضئيل للغاية. وصار بوسع الحاكم الجديد الخميني أن يعلن " أميركا تفعل القذارات ".

****

أياديكم مضرجة بالدماء

An Ihren Händen klebt Blut

الجزء الأول / العدد 43 / 1986

الفريق أول طيار روبرت هويزر يكتب عن محاولته منع الخميني من الاستيلاء على السلطة.
مجلة دير شبيغل ، ألمانيا /هامبورغ

الخميس : 3 / كانون الثاني / 1979
شارع ريتشارد فاغنر، 39 شتوتغارت. الساعة الثانية فجراً ... انتزعني رنين متواصل من هاتفي من الفراش ومن نوم عميق، التقطت السماعة، وبدا صوت الجنرال الكسندر هيغ واضحاً، " أخترنا لك أقصر الطرق، ينبغي عليك أن تسافر إلى إيران ".

هكذا ابتدأت الدراما. في بدايتها كان اليأس والفرقة، وأنتهت المهمة بكارثة ـ دراما. كانت بدايتها ساحرة وكأنها قطعة من مسرحيات شكسبير في ذروتها يتوقف كل شيئ على: كيف سيتعامل دزينة من الفاعلين مع طموحاتهم، والعداوات، والتردد، تحت ضغوط فضيعة.

على أي منهم يمكن الأعتماد ..؟ من منهم يمتلك الدوافع الحقيقية ..؟ هل سيفكر غداً أو الأسبوع المقبل تماماً كما يفكر اليوم ..؟ هذه الأفكار والشكوك تنطبق بصفة عامة، ليس فقط على الإيرانيين. وأحياناً وكانت تنتابني حتى ببعض الأشخاص العاملين في صالحنا.

وكان الرئيس قد أمر بترفيعي(1975) إلى رتبة فريق أول (جنرال بأربعة نجوم)، وفي 1 / أيلول ـ سبتمبر باشرت بخدمتي كمساعد للقائد العام للقوات المسلحة الأمريكية في أوربا بقيادة الجنرال الكسندر هيغ في شتوتغارت.

وبالإضافة إلى إشرافي على 320 ألف رجل من القوات المسلحة الأمريكية في منطقتنا، كنت مسؤولاً عن كافة مبيعات الأسلحة والمساعدات العسكرية بما مجموعه 44 دولة.

وأحد أكبر المتلقين منا آنذاك كانت إيران. وفي إطار برنامج عسكري أمريكي ـ إيراني واسع النطاق، كنت كثيراً ما أسافر إلى طهران للتعامل من كبار العسكريين الإيرانيين، وكان لي العديد من المعارف في أوساط الشاه، وتطورت بمرور الزمن مشاعر الاحترام والثقة بين الجانبين.

في مطلع عام 1978 طلب الشاه من الولايات المتحدة الأمريكية مساعدته في تأسيس نظام قيادة وسيطرة في إطار إعادة تنظيم قواته المسلحة. وحسب رغبته، أرسلتني وزارة الدفاع في أواسط نيسان ـ أبريل / 1978 إلى طهران، للقيام بهذه المهمة، وكان هذا النظام يتيح للشاه السيطرة المطلقة ويحميه من أي انقلاب.

وكنت قد سمعت للمرة الأولى بأسم آية الله الخميني في محادثة لي مع الشاه في نيسان ـ أبريل / 1978، وقبل ذلك بثلاثة أشهر (7 / كانون الثاني ـ يناير) كلن الخميني قد وجه تهديداً علنياً، بأنه سيقضي على حكم عائلة البهلوي. وليس ذلك فحسب، " إنه يريد أن يراني مشنوقاً " قالها جلالته مع حركة يد معبرة.

في زيارتي اللاحقة (آب ـ أغسطس) تواصلت الحالة سوءاً في البلاد، وفي حزيران ـ يونيه، وجه الخميني نداء إلى الشعب الإيراني للإطاحة بالشاه. وبعدها بدأت المعارضة في أن تكون فعالة حقاً، وكان الوضع في غاية الجدية، قال لي الشاه. في مشهد وشيراز وأصفهان كانت هناك أنتفاضات، ولكن لا ينبغي أن يساورني القلق، فالوضع تحت السيطرة.

في مطلع أكتوبر، شرعت من مقري في شتوتغارت بوضع خطط لإخلاء المواطنين الأمريكيين، وفي أواسط تشرين الأول ـ أكتوبر بدأنا بترحيل أوائل الأمريكيين. فيما بدأ خصوم الشاه: حزب الجبهة الوطنية، وأتباع الخميني، الحزب الشيوعي (تودة)، الفدائيين، المجاهدين، وآخرون، يشددون من ضغطهم، وغدا الوضع حرجاً بالنسبة للشاه.

لماذا كان السفيران، الأمريكي والبريطاني مقتنعان منذ فترة طويلة، بل وغداً سيكون ذلك واضحاً للشاه أيضاً، أن سفك الدماء سوف لن تكون له نهاية، طالما هو مقيم في العاصمة. وبإمكانه أن يختار واحداً من ثلاثة أمكانيات: أن يختار مكاناً خارج إيران يعيش فيه، أن يذهب في سفرة خارج البلاد، أو يتنازل عن العرش.

في واشنطن كانت الآراء منقسمة. فحتى نهاية كانون الأول / ديسمبر، كان الر\يس كارتر يأمل بامكانية حماية الشاه من السقوط، وآخرون كانوا متشائمون، ولكن على كل حال ينبغي الحفاظ على العلاقات الأمريكية ـ الإيرانية صلبة وقوية، وأن يقبض العسكريون الإيرانيون على مفاتيح الأمور في طهران.

في نهاية شهر كانون الأول ـ ديسمبر / 1978، أتصل بي هاتفياً مساعد رئيس هيئة الاركان المشتركة عدة مرات من شتوتغارت. تحدثنا مطولاً حول الوضع في إيران وتوجه لي بسؤال: ما هو رأي بخطة إرسال ضابط برتبة كبيرة إلى طهران ليعمل مع ضباط القيادة العسكرية الإيرانية.

في 3 / كانون الثاني ـ يناير / 1979، وصلتني دعوة من الجنرال دافيد جونز، رئيس هيئة الأركان المشتركة، وأبلغني أنهم قريباً سيتوجهون لي بطلب، السفر إلى طهران بمهمة للعمل فيما ما تحدثنا عنه. والرئيس كارتر شخصياً قد اختارني لهذه المهمة، إذ هي واجب مهم، ومن جانبي وجدت من الضروري أن يفاتح رئيسي في العمل الجنرال هيغ.

عبر الجنرال جونز عن أستعداده ليتحدث مع الجنرال هيغ، الذي كان مقره كقائد عام للناتو في بروكسل/ بلجيكا. وهنا أنفجر الجحيم، إذ رفض هيغ بحماس المشروع بأسره، وكان يعتقد مثلي، أن واشنطن لا تدعم الشاه بما فيه الكفاية. وبرر لي أسباب اعتراضه بالتفصيل، وأعتقد على كل حال وبحسب رأيه أن حكومتنا يجب أن تمضي في القضية بقوة أكثر.

كان هيغ قد تحدث هاتفياً مع سفيرنا في طهران وليم سوليفان ، وتحدث عن اعتراضاته، وفي المساء بدا لي أن سورة الغضب قد هدأت، استلقيت، وفي الساعة الثانية فجراً جاء النداء من هيغ، أن الرئيس كارتر قد أصدر أمره، وأنه ينبغي أن أكون حالاً في مقر عملي، لاستلام الأوامر والتعليمات السرية من واشنطن، ومن الآن فصاعداً قال هيغ، على التعامل مباشرة مع واشنطن، وغسل يديه من كل ذنب في هذه المسألة ..!

بعد عشرين دقيقة، كنت في ثكنة باتش، وفي السفرة عبر شتوتغارت المكسوة بالثلوج، تساءلت مع نفسي ما إذا كان يتعين علي قبول المهمة أم لا، إذ لم أكن أتبين ما يمكن كسبه هناك، فنحن لدينا هناك سفيراً مقتدراً، فلماذا يرغب الرئيس أن يرسل مبعوثاً في مهمة ..؟ ألم يكن أفضل الأستقاله عوضاً من سحب أصدقائي الإيرانيين إلي مسألة يمكن أن تتطور إلى كارثة ..؟ ولكن في النهاية قلت لنفسي، إذا كانت هناك فرصة للنجاح وأحد في المليون، فعلي قبول المهمة.

من المؤكد كنت سأقرر بطريقة أخرى، لو كنت في ذلك الوقت أعلم، ما علمته بعد مرور خمسة سنوات: أن سفارتنا في طهران، كانت تضع مساعيها للتعاون مع الحكومة، دون أن يكون هذا ملاحظاً في واشنطن، يخلقون أنطباعاً بأنهم يحققون تقدما جيداً، فيما كانوا يريدون أن يرغموا المئات من كبار الضباط الإيرانيين على مغادرة البلاد، وعلى العكس من مهمتي في حثهم على البقاء ودعمهم.

ومن خلال الخط الآمن، أتصلت بالبنتاغون، وزير الدفاع هارولد براون لم يكن موجوداً، هكذا أخبرني وكيل الوزارة (سكرتير الدولة) تشارلز دونكان، تعليمات مفصلة، وهتف قائلاً إن على أن أتوجه إلى طهران بأسرع ما يمكن. وسألت دونكان فيما إذا كان يعلم أن هيغ(الجنرال الكسندر هيغ) يرفض هذه المهمة، أجابني بنعم، ولكن هذا هو أمر الرئيس وينبغي أن ينفذ.

وقد علمت بهذه المناسبة أيضاً، أن **واشنطن لا ترغب أن أرسل لها تقارير تحريرية.** وقد وجدت ذلك ببساطة أمر غير مقبول، وتمكنت بعد جهد كبير في الحديث مع دونكان أن أحقق رغبتي. وبعد دقائق قليلة، جاءت التعليمات في آلة الإرسال البرقية أنهم موافقون على أن تقدم تحت عنوان"مشروع/مقترح ".

كانت التعليمات بسيطة وغامضة نوعاً ما. الرئيس طلب مني، أن أعمل على ضمان: استعداد ومشاركة قيادة القوات المسلحة الإيرانية، وهذا يعني تالياً :

" بحسب رؤية الولايات المتحدة، أن المصالح الإيرانية على المدى البعيد تتحقق عبر حكومة قوية ومستقرة، وأن جهود الشاه بتشكيل حكومة مدنية، يبدو في الوقت الحاضر هو البرنامج الأصلح.

لا يمكن لحكومة مدنية أن تعمل بنجاح دون دعم من قيادة الجيش. وإنه لمن الأهمية بمكان أن القيادة الإيرانية ينبغي أن تعمل كل شيئ، لكي تبقى قوية في أداءها وفي وعيها لدورها وبذلك يمكنها دعم حكومة مدنية في عملها، ولا ينبغي على كبار القادة العسكريين مغادرة البلاد.

" على القوات المسلحة الإيرانية أن تعلم، أن القوات المسلحة الأمريكية والحكومة الأمريكية تقف خلفهم بمثابرة. سنقف بقوة إلى جانبهم، وإننا سنواصل تجهيزاتنا بالسلاح، وبرامج التدريب، وفقاً لرغباتهم ".

هذا النص كان غامضاً فحسب، بل قرأ في واشنطن بشكل مختلف. فقد رأى فيه مستشار الأمن القومي برجنسكي دعوة لقيادات الجيش الإيراني لتنظيم انقلاب عسكري. **الرئيس كارتر كان يرى عكس ذلك،** أن مثل هذه الدعوة مطلوبة فقط عندما لا يكون هناك شيئ آخر لنتخذه.

كان ينبغي أن أكون في طهران بعد ظهيرة يوم 4 / كانون الثاني ـ يناير إذ أنني سأخسر ثلاث ساعات ونصف وهي فرق الوقت بين توقيت ألمانيا وإيران، وبدا لي أن الوقت ضيق نسبياً.

أعطيت الأمر بتحضير طائرة (T39) وأوضحت بأني أريد أن أكون في الجو في هذه الساعة. وكان ينبغي قبل ذلك استحصال موافقة التحليق عبر الأجواء السويسرية، والمرحلة المقبلة في سفرتي إلى طهران تم تثبيتها، فطائرة (T39) لا يبلغ مداها أكثر من 1600 كم.

قدم مركز القيادة إيضاحاً، أن الوقود سيجلب من أثينا إلى طهران، وهو ما يلائم رحلتنا بشكل رائع. والراكب الذي يسافر بطائرة كهذه، عليه أن لا يشغل باله، فتوجهت إلى البيت، وحزمت أغراضي لسفرة خمنت أنها سوف لن تستغرق أكثر من ثلاثة أيام.

بعد ساعة، كنت أجلس في قمرة قيادة طائرة (T39/ هي طائرة ركاب صغيرة لنقل الشخصيات) ثم أني لم أكن أحمل من الحقائب سوى قطعة واحدة، الوجهة: أثينا. وهناك قابلت ممثلين من سلاح الجو الأمريكي، ثم تواصلت الرحلة، وعلى مدرج الطيران هناك كانت هناك طائرتان (C141) تحمل وقوداً إلى طهران، ثم سار كل شيئ بسلاسة.

الرحلة على أية حال لم تكن رحلة روتينية تماماً، وكان موظفوا الخدمات الجوية الأرضية الإيرانيون في حالة إضراب، وهكذا كنا في المجال الجوي الإيراني معتمدين على أنفسنا، ولكن لحسن الحظ كان الطقس صافياً والحركة الجوية لم تكن كثيفة، وبذلك وصلنا مطار طهران بعد الظهيرة.

كان كل شيئ معداً عن مهمتنا العسكرية في طهران. وكان استقبالي بسيطاً بدون مراسيم مبهرجة. فتحت أبواب الطائرة، والعديد من الجنود الأمريكان البعض منهم كانوا بثيابهم العسكرية، وبعضهم بالثياب المدنية، استعدوا لإفراغ الوقود. ومكثت بعض الوقت متوارياً في منطقة الشحن، وعندما ترجل الجنود الأمريكيون، ذهبت معهم.

تجاذبنا أطراف الحديث، ثم ركبت كما لو كان الأمر صدفة، في سيارة، وأقلعت بنا. والحراس في بوابة المطار لم يترددوا ثانية واحدة، بالسماح بمرورنا، وكان من الواضح أن وصولي كان غير معلوماً.

المضي داخل طهران بالسيارة كانت الصدمة الأولى. المدينة التي كانت تعج بالحركة، تبدو الآن وكأنها مصابة بالشلل. الشوارع كانت مهجورة تماماً، لا سيارات، ولا حافلات، ولا دراجات بخارية، والتجار كانوا قد أغلقوا أبواب محلاتهم، الساحات والأرصفة كانت خالية من البشر، محطات تعبئة الوقود كانت مغلقة.

كانت محطتي الأولى في دار العميد هوي ستون، رئيس قسم الجيش في (MAAG) (مجموعة المساعدات العسكرية والاستشارات العسكرية). بل أني لاحظت أجواء التوتر حتى هنا. وكان العميد ستون كان قد أرسل أشياؤه الثمينة إلى الولايات المتحدة، وحتى زوجته كانت قد غادرت بالفعل وها هي الأزمة قادمة بدون توقف .

وبجانب رئيس (MAAG). اللواء فيليب غاست، والعميد جورج كيرتيستز كممثل للسلاح الجوي، والعميد البحري فرانك كولينز الذي يمثل البحرية، وكان علي أن أحاط علماً بالوضع في القوات المسلحة الإيرانية، وماذا فعلت (MAAG) في غضون ذلك.

كانوا متفقين في تقديراتهم على أمر واحد، أن البلاد خارج نطاق السيطرة تماماً. وكان الإضراب قد أصاب نظام إنتاج النفط بالشلل. البنوك كانت مغلقة، وسائل الإعلام صامتة، ودائرة المراقبة الجوية لا تعمل، وبعض محلات بيع المواد الغذائية تفتح لوقت قصير، وسائر المحلات مقفلة جميعاً.

وعند حلول الظلام، كنا قد أنهينا محادثاتنا. وأخذني اللواء غاست معه إلى البيت، وعادت المدينة إلى الاجواء العصبية والضجة. رجال يصرخون من فوق السطوح " الله أكبر " وكل هتاف كان الجانب الآخر يرد عليه، طلقات تمزق الليل. وكل ليلة في حوالي الثامنة والنصف، تقوم المعارضة تغلق التيار الكهربائي لعدة ساعات، كعمل إزعاج. وفي بيت اللواء غاست حلت الظلمة الدامسة، وتسلل برد الشتاء إلى الغرف.

ذهبنا أنا وغاست إلى الشرفة، لنستمع إلى ضجة الأصوات، كانت هناك نيران مشتعلة، وكنت أشم رائحة الإطارات المحترقة، وأمضينا بقية الأمسية في تشخيص الأوضاع، ولم تهدأ الأوضاع نسبياً إلا بعد منتصف الليل.

الجمعة : 5 / كانون الثاني / 1979

بعد تناول الفطور، ذهبت إلى السفارة الأمريكية، من أجل محادثة السفير سوليفان. كانت البوابة الحديدية الكبيرة للسفارة مغلقة بسلاسل ثقيلة، وقد شددت الحراسات. وعندما حضرت لدى السفير سوليفان، **سلمني برقية من وزير الخارجية سايروس فانس. وفيه بلغت بتعليمات، أعتبار كافة التعليمات السابقة غير ضرورية**. ومن الواضح ينبغي علي أن أباشر الاتصالات المتفق عليها مع العسكريين الإيرانيين، بل على أن أنتظر تعليمات من واشنطن.

لم تكن هذه إشارة حسنة، ومن الواضح أن هناك القليل من الاتفاق: وزارة الدفاع كانت تقيم الوضع بشكل يختلف عن وزارة الخارجية. والسفير بدا عليه تفاجأ بهذا التغير، على كل حال الأمر ليس مقلق.

وجدت نفسي في حالة من الترقب وأمضيت بقية اليوم في محادثة مع سوليفان. لم نتوصل إلى شيئ كثير، فبحسب معاينته أن القوات المسلحة الإيرانية كانت قد هبطت لمستوى بحيث لا يمكن توقع شيئ منها. وبحسب رأيه كان الشاه قد بلغ نهايته، وعليه مغادرة البلاد بأسرع ما يمكن. وسوليفان يعتبر محاولة شاهبور بختيار تشكيل حكومة أمراً لا فائدة منه.

غريب ...! ها أنا أجلس في إيران، مع أوامر من الرئيس، بدعم بختيار بأي وسيلة، فيما يتحدث الممثل الدبلوماسي للسيد الرئيس عن هزيمة قبل أن تبدأ اللعبة، بل أن السفير يمضي لأبعد من ذلك ويقول أنه يستعد للتعامل مع حكومة يقودها مهدي بازركان.

مهدي بازركان أحد أركان الجبهة الوطنية، وهو على أتصال وثيق بالخميني، ويعتقد فيما يبدو أنه يمكن أن يتولى القيادة بعد عودته (الخميني) فيما سيتولى الخميني نفسه تحديد القيادات الروحية.

لقد أستمعت بصبر لكل ذلك، ودون ريب كان هناك خلاف كبير بين السفير سوليفان، وواشنطن. وكان هذا هو السبب أيضاً بأني أركنت جانباً بعد وصولي .

لقد أوضحت للسفير، بعد أن تلقيت إشارة البدء من واشنطن، بإني سوف أطبق التعليمات التي بحوزتي بدقة. وكما فهمت منها أني سوف أقتصر باتصالاتي مع العسكريين، فيما سيقوم هو (السفير) بالعمل في

الشؤون المدنية، فيما بعد تأسفت لهذا الوصف الدقيق للكلمة، الذي كانت إحدى مساوئه بأني سوف لن أستطيع الأتصال برئيس الوزراء بختيار.

السبت : 6 / كانون الثاني / 1979

في السفارة أبلغوني بأن الجنرال تاوفنيان نائب وزير الدفاع الإيراني قد أتصل بي وقد بلغه أنني في طهران، ويود لو أنه يقابلني. ومن الواضح أن خبر وصولي إلى إيران لا يمكن الاحتفاظ به سراً كما كنت أعتقد.

في غضون ذلك وردني رسالة من وزير الخارجية فانس، وفيها يوعز لي بالمضي بالتعليمات التي بحوزتي، وأن أقتصر باتصالاتي بخمسة من كبار ضباط القيادة العسكرية الإيرانية، وإبلاغهم تأكيد دعم الرئيس كارتر لهم.

هؤلاء القادة العسكريين كانوا الممثلين الرئيسيين للدراما التي كان علي أن أعيشها. معظمهم كانت لهم مواقعهم في الحكومة العسكرية التي أذن الشاه بتشكيلها في نوفمبر/ تشرين الثاني المنصرم (1978). شيئاً فشيئاً استبدلوا بمدنيين، وعندما تداعت الحكومة في كانون الأول، عادوا جميعاً إلى مناصبهم ووظائفهم العسكرية، بأستثناء الجنرال غلام رضا أشاري، رئيس أركان الجيش ورئيس الحكومة العسكرية. الذي رقد في سريره أثر نوبة قلبية، ولم يسمى بدلاً عنه، وقد علمت أن هناك مرشحان إثنان : الجنرال عباس جهارباغ، قائد قوات الجندرمة، والجنرال تشام الذي كان قد ترك الخدمة العسكرية منذ عدة سنوات ولكنه يتمتع بسمعة جيدة.

كان قائد سلاح الطيران صديق قديم لي، الجنرال أمير حسين ربيعي. كنا قريبين لبعضنا جداً، كان يعتبر نفسه " أخي الأصغر ,, ربيعي كان طياراً مقاتلاً بارعاً، وكان مثل غيره معظم الطيارين الإيرانيين قد أمضى جزء من تعليمه وتدريباته في سلاح الطيران الأمريكي.

وفي قمة قيادة البحرية الإيرانية، كان هناك الفريق الأول بحري كمال الدين حبيب الله، كان من مجموعة القادة، كان من أفضل القادة تمسكاً بالقيم الغربية.

الجنرال تاوفنيان، الذي تواصل لسنوات طويلة في منصبه كنائب لوزير الدفاع. وكانت هذه الوظائف بعد سقوط الحكومة العسكرية لم تشغل بغيرهم، وكان الجنرال تاوفنيان، ماكنة بشرية الذي يعمل دائماً بقدرة وأستطاعة 110%.

الرجال الأربعة : جهارباغ، ربيعي، حبيب الله، كانوا من المقربين جداً للشاه، كل واحد منهم يعتقد بأنه مقرب من الشاه أكثر من غيره، وكانوا ينحنون له رسمياً، وكان ولائهم يشتد عندما يتحدث مع كل واحد منهم على أنفراد، وبهذا كان يشدد من سيطرته المطلقة عليهم.

أتفقت فوراً مع الجنرالات على مواعيد، وكان لقائي الأول للتحادث مع الجنرال توفنيان، وكنت في كل محادثاتي أصطحب معي اللواء غاست.

وعندما وصلنا مقر تاوفنيان المترف المدفأ جيداً، لاحظنا قوة الحراسات الأمنية، حياني توفنيان بالطريقة الفارسية الجيدة وكصديق قديم، بأحتضان قلبي وقبلات على كلا الخدين. وشعرت أن هناك الكثير في هذا الاحتضان، حيث همومه وقلقه يريد أن يتشاطرها مع أحد ما يثق به.

بدأ حديثه بالتحذير. بأن لا ينبغي أن يشاهدني أحد بملابسي العسكرية في المدينة. وأيضاً هو والجنرالات الآخرين لم يكونوا يفعلوا ذلك. وكانوا يخفون بزته العسكرية تحت معطف مدني ويمضون مسلحين في الشوارع.

وكان لدينا مسدسات في سيارات السفارة، ولكنني شخصياً لم أكن مسلحاً. وتقبلت نصيحة تاوفنيان أن نمضي خارج المقرات بالثياب المدنية فقط. وكان الموظفون الأمنيون قد هيأوا لي سترة مضادة للرصاص وأخرى موضوعة في حقيبة الأوراق، بوسعي أستخدامها كدرع واقي.

بحسب قناعة تاوفنيان، أن الاضطرابات هي من تحريضات الشيوعيين، والجماعات الدينية سيتحولون إلى حكومة دستورية، ووبتقديري أن الشيوعيون لهم تأثيرهم، ولكنهم لا يبدون في الواجهة.

قال تاوفنيان، لابد من إسكات خميني، من أجل أستعادة السيطرة على الوضع. ويقلقه أن يستقر الشاه في الخارج، وكان يخشى أن تتفكك القوات المسلحة .

وهنا ذكرت في حديثي عن إشاعة، التي كنت قد سمعتها في البعثة العسكرية، أن مجموعة من الضباط يخططون لأنقلاب عسكري. تاوفنيان نفى هذا الأمر، وهنا أصطدمت بالفكرة مرة أخرى فسألت : هل لا توجد هناك حقاً خطط لأنقلاب ؟ فأجاب وأعاد كلمة لا ... ولكنه أكد لي أن الضباط لا يقبلون أبداً أن يستلم الشيوعيون السلطة. وشعرت أني قد لامست نقطة حساسة ولم أعد أصر عليها.

وعندما تحدثت مع شاهبور بختيار الذي تعين كرئيس للوزراء، قال تاوفنيان، كل من يستلم هذا المنصب بوسعه أن يعتمد على دعمه التام. رغم شعوره بخيبة أمل لأنه تجاهله.

وأظهر تاوفنيان بوضوح قلقه على أمنه الشخصي. في حالة ما يغادر الشاه البلاد، فهو سيلحق به، وإلا فهو سيتعرض للقتل. ومن جهة أخرى كان يريد أن يقف إلى جانب الوطن وأن يمنعوا وقوع حمام دم.

نقلت له ضمانة الرئيس كارتر، وكان سعيداً جداً بالدعم الموعود، ولكنه قابلني فوراً بخطبة تهجم ضد سفيرنا سوليفان الذي قد حادث الشاه بلزوم مغادرة البلاد.

ثم جاءت أسئلته " لماذا لا تلزم أميركا الجبارة الخميني الصمت. ؟ " أو سؤاله " ألا تستطيع الولايات المتحدة أن ترسل أخصائيين وخبراء نفط للمساعدة في حقول النفط الإيرانية ؟ ". كما أشار إلى إن هجرة خبراء النفط الأجانب أصابت بدرجة مهمة بانخفاض في معدلات التصدير.

وبحسب تقديرات تافونيان أن على العسكريين أن يستلموا السلطة في البلاد. لكن دون التسبب بخسارة ناس أبرياء، ويكفي عندما يعتقل المعارضون. وأنا بادرته بالمقابل، أن العسكريين يمتلكون هذه الفرصة منذ نوفمبر / 1978 ، وأن يديروا البلد، ولكنهم أظهروا عجزاً.

وعندما عبر تاوفنيان عن مخاوفه، أن الشاه يمكن أن يعارضها، بعودته من مكان أصطيافه إلى العاصمة طهران، فقلت له أن القوات المسلحة، ملتزمة بضمان العرش له. وهم الوحيدين القادرون استخدام العنف الإمبراطوري الحفاظ على العرش باستخدام القوة الضرورية، واستعادة الموقف وهنا قال لي تاوفنيان: " أن الشاه ليس شخصاً عادياً، إنه الوطن ".

لاحظت، بأني يمكنني التوصل لشيئ، وكان قلقه الرئيسي كما بدا لي واضحاً: كيف بمكنه النفاذ بجلده. تحركنا أنا واللواء غاست صوب القاعدة الجوية دوشان تبه للتحادث مع صديقي القديم الجنرال أمير حسين ربيعي، ولم تجر مراسم الاستقبال الاعتيادية، بل كانت هناك مجموعة صغيرة من العسكريين وشرطة الأمن في الاستعداد.

حياني ربيعي بأدب، الذي كنت قد أعتدت عليه، ولكن قبل أن أتفوه بكلمة واحدة، باشر بهجوم غاضب على الولايات المتحدة. الأمر الذي أصابني الذهول، فقد كان قد تدرب في الولايات المتحدة وأحب البلاد وغالباً ما عبر لي أنه يرغب في يعيش هناك في التقاعد، وكان غضبه وشتائمه تعبر عن الإحباط.

في البداية صب جام غضبه على السفير سوليفان، الذي هو المذنب في رحيل وشيك للشاه، ثم عقب كصاحبة تاوفنيان على الأخبار التي تذيعها إذاعة (BBC) البريطانية باللغة الفارسية، وزعم أن (BBC) تذيع الكثير من الأخبار الخطأ عبر إذاعتها القوية. وبحسب رأيه أن (BBC) قد أذاعت في الليلة الماضية تقريراً خاطئاً، مفاده أن ربيعي قد أحال نفسه على التقاعد, وهذه الكذبة التي ألتقطت في كافة أرجاء البلاد، وأثارت الذعر.

وكان هاتفه يرن دون توقف، وأن المتحدثين يتهمونه وبأنه ينبغي أن يعمل شيئاً، لماذا لا تفعل الولايات المتحدة شيئاً ضد هذه الإذاعة، ثم نحن لدينا علاقات وثيقة مع بريطانيا العظمى.

أخيراً خفت العاصفة، وحصلت على الفرصة لأوضح للربيعي لماذا قدمت أنا إلى طهران، وأستمع لي بأنتباه، وسرعان ما وجدنا أنفسنا في حديث حول الانقلاب المزعوم.

وكصديق قديم كان بوسعي أن أعتبر ربيعي من " مجلس الضباط " الذي كان وفقاً للشائعات المنتشرة قد تشكل. وقد أقر لي بأن هذا المجلس موجود بالفعل ولكن الأمر سري للغاية " Top secret ".

ومن الواضح أن الشاه كان قد بلغه أن بعض الضباط قد عمدوا إلى تشكيل مثل هذا المجلس، وربيعي اعتبرني أحد أعضاء المجلس، والفريق البحري حبيب الله، والجنرال تاوفنيان وهو شخصياً(ربيعي).

قطع رنين الهاتف حديثنا، النداء جاء عبر" الخط الساخن " تحدث ربع باللغة الفارسية، ولم لم يكن هناك أدنى شك، أن المتحدث في الطرف الآخر كان الشاه. (كان رئيس هيئة كل سلاح (صنف) لديه خط مباشر مع القصر الملكي). المحادثة كانت قصيرة ولكن مع مرور كل ثانية، كان صوت ربيعي يعلو ويتهدج، وبعد أن أنهى حديثه صمت لبرهة، وقال لي " جلالته أمرني أن أحضر كل شيئ لرحيله ".

الجنرال ربيعي كان يشعر بالحيرة، وقال لي بلهجة قاطعة، بأنه هو الآخر يجب أن يذهب، وإذا بقي في البلاد فذلك لا يستحق قرشاً واحداً ففي النهاية فهو يمثل في قناعة الرأي العام، بوصفه من أكثر كافة ضباط الشاه فساداً.

حاولت كثيراً لكي أغير رأيه، ولكن كان علي أن أدرك، أن جهودي حتى الآن على الأقل، كانت عابثة. وقبل أن أمضي ذاهباً، حاولت بأخر حيلة. إذ أخبرت ربيعي بأنني زرت أيضاً الجنرال تاوفنيان، وتحدثت له بالتفصيل عن محادثاتنا، وهذه الصراحة كانت صدمة له.

أوضحت للجنرال ربيعي، بأنه لا ينبغي أن تكون بيننا أسرار، وأقترحت عليه، أن نعقد أجتماعات مع الآخرين. وأردت من قبيل المجاملة أن أقوم بزيارة الفريق البحري حبيب الله وأن أبلغة تفصيلاً عن محادثاتي مع الجنرال ربيعي وتاوفنيان. وبدا القلق على محيا ربيعي، واستطعت أن أقرأ في ملامحه، أن متاعب الأيام الأخيرة كانت لا تطاق.

بعد محادثاتنا مع ربيعي، مضينا إلى الفريق البحري حبيب الله في مقر قيادة البحرية، الذي أعرب عن شكره لتطمينات وضمانات الرئيس كارتر، وبدأ يتلو منولوج متشاءم، كما كان متأكداً أن الشيوعيين، ينفذون خطة بارعة يختبئون خلف جماعة الخميني، لينتزعوا السلطة لأنفسهم.

والشيوعيون بحسب رأي الأدميرال حبيب الله يسعون جاهدين لخلق حالة من نقص الوقود من أجل إلحاق الشلل في القوات المسلحة " ولكنه أحبط حيلهم وذلك بتخزين كميات من الوقود والتموين لمدة عام كامل، ويتفاخر بأنه حقق بذلك قفزة عظيمة إلى الأمام حيال الصنفين الآخرين للقوات المسلحة (يقصد الجيش وسلاح الطيران).

وحول الرحيل الوشيك للشاه، كان الأدميرال مضطرباً كزميليه الجنرالان (تاوفنيان وربيعي)، وعندما أسفر الشاه عن رغبته، كان تصاعدت في المقر العام للقوات البحرية، هتافات الأحتجاج على هذا القرار. وقال الادميرال : حتى إذا كان الشاه يريد قضاء أجازة أستراحة، ينبغي أن يشاركه القرار. وبوسعه أن يقيم في جنوب إيران، وربما يغادر البلاد لاحقاً في وقت لاحق إن شاء.

كان حبيب الله واثقاً أن جلالته سيغادر البلاد للأبد، لذلك فإن القوات المسلحة ستفقد روحها المعنوية، والقيادة العسكرية التي تكن له بالولاء، عليها كذلك مغادرة البلاد، لأن حياتهم بدون حماية الشاه ستكون في خطر.

وللمرة الثالثة في هذا اليوم كان على أن أوضح، لماذا ينبغي على كل القيادات العسكرية أن تبقى في البلاد، إذ سيعين الشاه مجلساً للحكم، الذي سينوب عنه في ممارسة السلطات العليا في الدولة، وستكون لرئيس الوزراء بختيار المسؤولية الأكبر في هذا المجلس، ولذلك يتعين على القيادات العسكرية الوقوف خلفه.

بالنسبة لي كان نجاحاً صغيراً، أن الأدميرال لم يهمل مبرراتي على الفور، كما فعل ربيعي وتاوفنيان، وعلى الأقل فأني نجحت على حمله على التفكير بمستقبل البلاد.

ومعه أيضاً (مع الأدميرال) كررت مسألة المجلس العسكري، وأخبرته أن ربيعي قد أفادني، ولكن تاوفنيان تهرب من هذا الموضوع. ومن خلال تعبيرا حبيب الله أتضح لي أن خطط الضباط فكرة ما تزال في مهدها، أكثر من كونها نوايا ثابتة كم ينتظر منها، وهم يعتمون بتوزيع المهام داخل المجلس، ولكنهم لم لم يفكروا كيفية إستعادة سلطة الدولة، وكيف إعادة الاقتصاد في البلاد إلى الحركة، وفيما يبدو أنها خطط تفتقر إلى التفاصيل.

ورغم ذلك، فإذا كان بالإمكان أتفاق هؤلاء الرجال على تشكيل مجلس، فلربما سيكن ذلك مفيداً وناجحاً لحملهم على دعم بختيار.

وكخطوة أولى أقترحت، أن يضع الأدميرال حبيب الله خطة لاستعادة السيطرة على الصناعة، وعلى المعادن والعمل تحت أمرة بختيار، وهذا كان بالنسبة لي أجدى وأكثر قبولاً من فكرة الأنقلاب العسكري، ومثل هذه الخطط هي بالمناسبة مطلوبة حتى في حالة ما أستلموا السلطة يوما ما.

عندما غادرنا الأدميرال حبيب الله في فترة ما بعد ظهيرة يوم السبت، كان الوقت متأخراً للقيام بزيارات أخرى. وفي مقر اللواء غاست، استعدنا مع الشراب أحداث اليوم في رؤوسنا.

المشكلة التي بدت لي ظاهرة تمثلت قبل كل شيئ في المعارضة الصارخة للضباط في العمل بشكل وثيق مع بختيار، كنت أفهم تحفظاتهم، فبختيار ينتمي إلى المعارضة من الجبهة الوطنية. وعندما وصل إلى السلطة في البلد، يمكن أن تكون النهاية لكل واحد منهم. وأخيراً فمن حقهم الافتراض أن بختيار ربما قد بلغته أنباء مجلس الضباط هذا، وسيعمل على إزاحتهم حالما يعود الشاه إلى البلاد من رحلته.

الأحد: 7 / كانون الثاني / 1979

بعد تناول طعام الفطور، اتصلت بمكتب الجنرال جهارباغ، وسألت فيما إذا بوسعي أن أجلب معي الجنرال ربيعي إلى محادثاتنا. لم يبد اعتراضاً . وعلمت من هذه المحادثة، بأننا سنلتقي في مكتب رئيس هيئة الأركان العامة، وكان جهارباغ قد تسلم للتو موقعه هذا.

ويقع المقر الرئيس(القيادة العامة للقوات المسلحة) في قاطع من الأبنية وسط طهران، محاط بجدار حجري بلغ أرتفاعه ثلاثة أمتار، وبعد إجراءات عرض الهويات، سمح لنا بالدخول، توجهنا إلى مقر البعثة العسكرية الأمريكية (يبدو أن هناك بعثة عسكرية أمريكية دائمة في رئاسة الأركان الإيرانية / المترجم) الذي يقع في نفس البناية، وهنا أرتدينا ألبستنا العسكرية، وخلال رحلتنا داخل المدينة كنا نرتدي معاطف مدنية فوق ثيابنا العسكرية.

في غرفة الانتظار للجنرال جهارباغ، سقطت نظرتي على الصفحة الأولى لصحيفة طهران جورنال "Tehran Jornal " وصول ضابط أمريكي كبير . توقفت لقراءة الخبر، وقد اعتقدت أنني كنت في طهران بسرية مطلقة ..!

حيانا الجنرال جهارباغ بود وصداقة، ولكن بتحفظ. وقد عددت له النقاط واحدة بعد أخرى، ما ينبغي إيصاله من الرئيس كارتر. وفي غضون ذلك قاطعني عدة مرات. ليتحدث مع الجنرال ربيعي بالفارسية، وكان قلقه الأكبر، هو الرحيل الوشيك للشاه .

"يجب أن لا يغادر" وبعد ذلك وكما هو متوقع، أنفجرت القنبلة " وإذا ذهب جلالته، أريد أن أذهب معه ".

وأخيراً قال جهارباغ " أن العالم الغربي بأسره قد تآمر ضد الشاه ونظامه ويريدون تقويضه. حتى الألمان لا يمكن اعتبارهم من بين أصدقاؤه.

لقد رفضت هذه المزاعم، ثم أبدى تاوفنيان ثناؤه على الاستعداد الألماني للمساعدة، وكنت قبل أن أغدر شتوتغارت أكد لي أحدهم، أن **حكومة ألمانيا الغربية تقف كلياً وراء المساعي الأمريكية، من أجل مساعدة إيران.**

ثم سألته فيما إذا كان قد فكر بذلك، في الدول الإسلامية الشقيقة: الكويت، تركيا، المملكة العربية السعودية، بل وربما حتى العراق بطلب المساعدة. وأعترف بأن هذه فكرة جيدة، وعلى كل حال تلقت إيران إمدادات من الوقود من المملكة العربية السعودية.

وأخيراً أعلمت جهارباغ بمخططي (مشروعي) بعد أن يفعل العسكريون كل شيئ، يمكن أن يشاركهم بختيار وأردفت قائلاً " وعدا ذلك، عليكم تأسيس مجلس أمن وطني، يقف إلى جانب رئيس الوزراء كأستشاري ويقدم الاقتراحات، وما ينبغي عمله " .

أعجب جهارباغ بالفكرة، ودفع رئيس الوزراء إلى المسؤولية، ولكنه يظن، أن العسكريين يفتقرون إلى الخبراء في مثل هذه الخطط، وأدركت إلى ما يشير أو يريد قوله، الخبراء الأمريكيون ينبغي أن يقوموا بأعمال الخطط. ولكن ذلك لا يمكن بالطبع، بوسعهم أنتظار المساعدة والنصيحة منا (من الجانب الأمريكي) ولكن الخطط يجب أن يقوموا بها بأنفسهم.

بعد أربعة ساعات ونصف، كان لدي انطباع، الآن يكفي، الجنرال جهارباغ لا يرى أملاً، إذ يعتقد أن الخميني، وال (CBB) ,والشيوعيين ستكون لهم اليد الطولى، وليس بالامكان تغير ذلك. ومن الواضح، أنه سمح لنفسه أن يستسلم للخوف والتهديدات التي يشيعها أعداء النظام.

وقبل أن أغادر، قلت له ما فهمته من المواقف الإيرانية، سيكون بلا معنى، أن نجلس بلا حراك، وننتظر المعجزات، ومن تلك مثلاً أن يتبخر الخميني في الهواء..... المستقبل ينبغي التخطيط له.

أياديكم تقطر دماً

An Ihren Händen klebt Blut
الجزء الثاني

Der Spiegel 43 / 1986

الثلاثاء : 9 / كانون الثاني / 1979
وأخيراً جاء اللقاء المشترك الأول مع القادة العسكريين الإيرانيين، وكنت لتوي قد تناولت طعام الغداء مع اللواء غاست رئيس البعثة العسكرية الأمريكية في إيران، وجاء لنا أحد ضباط الارتباط، ليدعونا إلى مكتب الجنرال جهارباغ.

في مكتب رئيس الأركان، كان هناك الأربعة في انتظارنا، وعدا جهارباغ، نائب وزير الحرب تاوفنيان، وقائد سلاح الطيران ربيعي، وقائد البحرية الأدميرال حبيب الله.

وقلت لهم بصراحة، بأن لدي انطباع أنهم يعملون في نوع من فراغ، وأنهم لم يعملوا لحد الآن كفريق واحد، وهم لم يحتجوا، عندما قلت لهم، وبحسب انطباعي أنهم قد يقطعون رقاب بعضهم فقط من أجل تأمين مصالح الشاه.

ثم أبلغتهم عن المحادثات التي أجريتها مع كل واحد منهم على حدة. وبدا لي أنهم فوجؤا من مدى أتفاق آرائهم ووجهات نظرهم، مع أنهم لم يسبق لهم قد تحادثوا من قبل.

إذا كانوا متفقين على الرأي بدعم رئيس الوزراء بختيار، فعليهم مواصلة لقاءاتهم المشتركة وأضفت قائلاً " وليست لدي النية أن أجتمع مع ضباط من رتب أقل، وإذا تحادثنا معاً الإبقاء كل منا على كافة القضايا المهمة ".

ثم ذهبت إلى الفقرة التالية " عليكم أن تسجلوا كافة أحداث اليوم، وعليكم أن تخططوا أكثر للمستقبل. ويجب علينا أن نجد طريقة لإحباط الحرب النفسية لآية الله الخميني، إنه لمن الواضح، أنه يريد الاستيلاء على السلطة، دون إطلاق رصاصة واحدة، لدينا الكثير من الآليات، ولكنها لا تعمل منذ عدة شهور" .

بعد أخذ وعطاء متعب، أعلن الضباط أخيراً عن أستعدادهم، بالعمل على تهيئة خطط مكتوبة، ولكنهم يحتاجون لذلك على الأقل مدة شهر ولكن إذا غاد الشاه قبل ذلك سيكون لمغادرته تأثيرات كارثية.

وبعد أستراحة سألني الجنرال جهارباغ، كم سأبقى في إيران ؟

كانت أجابتي : " لقد أبلغتكم رسالة من الرئيس كارتر، وأنا أعتقد أنكم تعلمون الآن أن الولايات المتحدة تقف خلفكم تماماً بكل قوة، وبناء عليه، فإني سأغادر غداً ".

الاحتجاج الغاضب للقادة الإيرانيين أوضحت لي، أنهم (الجنرالات) يفكرون فقط بأمنهم الشخصي، وبرحيل الشاه الوشيك. أما أنا فكانت همومي وقلقي، أنه كلما بقدر ما تطول إقامتي في طهران، بهذا القدر سيبقون ويأخذون وقتهم، وأخيراً أن يستلموا مسؤولياتهم.

بعد عودتي إلى السفارة الأمريكية، قدمت للسفير سوليفان تقريراً " يسعدني ذلك " وأضاف قائلاً " جيد أنكم تحرزون تقدماً، ولكن لا تكن متفائلاً كثيراً ". **وقد أعتبر كل دعم لبختيار عبث ورمي للجهود في مكب النفايات. وكان هذا الرأي مدهشاً، وهو أبتعاد عن سياسة واشنطن بمساعدة بختيار**، ومن الواضح أن السفير لا يقدم إلا لازدراء للقوات المسلحة الإيرانية.

وبحسب تجاربي، فالأمر يدور في مجمله عن جنود محترفين مدربين جيداً منضبطين، وبالمقارنة مع القوات المسلحة الأمريكية أو البريطانية. **كان الضعف فيهم يكمن في أمر واحد لم يكونوا مدربين عليه، هو: أن يتولوا المسؤولية لوحدهم .**

الأربعاء: 10 / كانون الثاني ـ يناير/ 1979

طوال الليل هبت عاصفة ثلجية، وفي الصباح غطت سجادة بيضاء أرض طهران البنية الكئيبة. فأستفسرت عن فرصة الحصول على مقعد في طائرة متجهة صوب شتوتغارت، وعلمت أنه لا توجد خدمات تنظيف المدرج من الثلوج في مطار مهر آباد وإن إضراب المراقبين الجويين قد أصاب الحركة الجوية بالشلل.

في السفارة جاءتني إحدى السكرتيرات بنسخة من صحيفة " طهران جورنال "، العناوين الرئيسية كانت هكذا " تغير في المسار الأمريكي حيال إيران ". وفي المقال، أن واشنطن قد طلبت من الشاه لمغادرة إيران لبعض الوقت.

مواقع حكومية عليا في إيران غضبت لتدخل الولايات المتحدة، لا سيما بعد إيفاد الفريق أول الجوي، روبرت هويزر إلى طهران، ليضعوا أنفسهم في خدمة الحل (مخطط ـ بختيار).

وعندما قمنا أنا واللواء غاست بزيارة جهارباغ مساء، توقفت العاصفة، البداية كانت من ربيعي، الذي دفع الصحيفة أمام أنوفنا وزمجر:" بالتأكيد قد قرأت ما مكتوب هنا ..! ".

حاولت تهدئة العسكريين، ولكنهم الآن يطالبون بغضب، بأن يكون لي موقفاً بأن أغير عملية تحويل المسار في واشنطن.

فقلت لهم " تعليمات حكومتي أكدت وتؤكد لي دائماً أن الشاه هو الشاه، ولكنه يريد أن يرحل، وهذا الأمر يحسمه هو بنفسه ". " أما إذا واشنطن تريد أن تمارس ضغوطاً، فهذا سيكون أمر جديد بالنسبة لي ".

ثم قلت بعدها، أنني سأرافق السفير سوليفان في وداع للشاه، وسوف أستمع بهذه المناسبة إلى المزيد من خطط سفره. ثم إنني علمت أن كل واحد منهم كانوا في هذا اليوم في زيارة توديعية خاصة للشاه. ولكن أي منهم لم يتحدث شيئاً عن زيارته.

" هل قال أبلغكم الشاه عن يوم رحيله ". تساءلت أنا ..!

" لقد تحدث عن مسار طيران جديد " قال الجنرال ربيعي " ولكن .. قاطعه بسرعة جهارباغ بالفارسية. وكان ربيعي سيخبرني بالتأكيد موعد الرحيل أيضاً، ولكن الرقيب(جهارباغ) كان أسرع. أعتقد، أن الآخرين يعرفون موعد الرحيل أيضاً، فقد بدا عليهم وكأنهم يحملون العالم على أكتافهم. لقد عرفوا أخيراً، أنه سيمضي .

بغتة طلب ربيعي الحديث، " لا يوجد بديل ! أميركا قد غيرت وجهة نظرها، الشاه سيغادر البلاد ! الشاه نفسه قد قال، أن بختيار سيفشل. إذن ليس لدينا خيار، عدا أن نتبع جلالته، إذا غادر البلاد، أو المغامرة بانقلاب عسكري.

قمت بمقاطعته :" كيف توصلت إلى ذلك ..؟ أن تقوم بانقلاب عسكري ؟ هل لديك خطط بهذا الصدد، من تلك التي لا أعرفها أنا ؟ ماذا ستفعل إذا طلب منك بختيار، أن تستلم إدارة الجمارك، أو إنتاج الطاقة الكهربائية، أو إنتاج النفط، أو أي شيئ آخر من الدعائم الأساسية للاقتصاد ؟ من سيكون المقرر في إجابتك ؟ ".

كنت أريد أن أحصل على إجابة، التي تعذبني منذ وصولي إلى طهران، **هل لدى هؤلاء الرجال خطط سرية غير معروفة لي لأستلام الدولة ؟** أخيراً عرفت ذلك... كانوا عاجزين تماماً لم يكن في أيديهم شيئاً .

في المساء أبلغت من السفارة، أن هناك خبراً وصل من واشنطن، أن أبقى في طهرن حتى إشعار آخر.

مضى على وجودنا في مقرنا بالكاد ساعة واحدة، وكنت قد نزلت في مسكن اللواء غاست، وهنا أتصل السفير سوليفان هاتفياً، وأبلغني أن وزير الدفاع هارولد براون يريد محادثتي بأسرع ما يمكن. ولما كان الهاتف الأمين الوحيد موجود في السفارة، إذن كان علي الذهاب إلى السفارة عبر الشوارع الخالية المهجورة، وكان حظر التجول قد بدأ.

وكان السفير سوليفان قد حضر كل شيئ. وكان جهاز الهاتف من الطراز القديم، مع بعض المتاعب، وإذا تطول المحادثة، يبدو الصوت مثل كارتون دونالد دك.

أخيراً حصلت تحقق الارتباط والمكالمة. وأستمع وزير الدفاع مطولاً إلى تفاصيل الموقف في طهران، وكان يريد أن يعرف كل شيئ، وفيما إذا كانت القوات المسلحة الإيرانية، حماية حقول النفط، ومحطات الكهرباء، وإنهاء الاضرابات واستعادة النظام. كنت أستطيع الإجابة بنعم تقريباً، ولكن بشرط إذا كان إعادة القيادة المركزية للقيادة، والتخطيط الذي كان يعوزها، والعمل على هذا قد بدأ في هذه الأيام فحسب.

الخميس: 11 / كانون الثاني - يناير / 1979

بت ليلتي في السفارة، وخلال الفطور أخبرت سوليفان، أني أبلغت وزير الدفاع عن عنوان صحيفة طهران جورنال،" أميركا تغير توجهها حيال إيران". ويريد مني مساء اليوم تقريراً شفهياً. وتقدم سوليفان برجاء أن أسكن عنده، ومن اليوم فصاعداً أنا ضيف السفارة، السفير وزوجته.

في الساعة 11,15 أستعدينا أنا وسوليفان لزيارة الشاه، وكنت منذ أشهر لم أرى جلالته، وتأثرت لمرآه إذ يبدو عليه الإعياء.

بدأ حديثه سريعاً عن رحيله. كان مستحقاً لإجازة، ومرهق تماماً. وهو يعتقد أن غيابه سيؤثر بالاستقرار في الوضع، ثم سألنا، أين هي الوجهة الأفضل لسفره ؟ السفير سوليفان قال الاستعجال خير من التأخر، ربما لجميع المشاركين.

أبلغت أعتراضي: بأني لست متأكداً، فيما إذا العسكريين متفاهمين حول رحيل الشاه. ومع العلاقات المتينة بينه وبين العسكريين، ربما بضعة أيام ستكون في مكانها.

وعلى الرغم من أنني أعرف بأنني سرت نحو الجليد. اقترحت أن ربما عليه أن يجمع العسكريين وبختيار مع بعض ليتقاربوا. وقواته المسلحة تحتاج إلى شخصية قيادية يستطيعون أتباعه. الشاه لم يذهب إلى ما رأيت، وإنما فضل الحديث عن طيرانه المقبل. إلى مصر، ثم إلى المغرب، أو أسبانيا، ثم إلى أميركا.

وذكرته بمحادثة جرت في الصيف المنصرم، إذ قال لي في وقتها: حتى لو يرتكب رئيسنا شيئاً مخزياً، فليس عليه أن يترك السلطة...!(كأن هويزر يريد القول أن على الشاه أن لا يترك السلطة/ المترجم)

حك مؤخرة رأسه عدة مرات .. وأراد أن يغير الموضوع مرة أخرى ..

" صاحب الجلالة ... لقد سألتكم شيئاً ".

تطلع إلى عبر نضارته ذات العدسات السميكة، ثم قال :" الآن أنكم لا تفهمون أبداً، قائدكم العام هو في وضع آخر، يختلف عن وضعي، أنا قائد عام أرتدي الزي العسكري الرسمي، وعلى هذا الأساس تعطى الأوامر، الضرورة ستكون في ...".

توقف لبرهة وسأل ... " هل تستطيع كقائد عام أن تصدر الأوامر بأن يطلق النار على شعبك ..؟ ".

" صاحب الجلالة ... نحن نتحدث عنك وليس عني ..! ".

عاد وغير الموضوع، ولم أحصل أنا على إجابة على سؤالي.

عاد الشاه ليتحدث عن خطط العسكريين. بالنسبة له لم يكن واضحاً من الذي سينفذها، فأجبته ، أننا نأمل بأنهم وتحت قيادة رئيس الوزراء بختيار، ستوضع الخطط موضع التنفيذ. الحكومة مصممة على أن يستلم العسكريون مسؤولياتهم أيضاً.

ولدهشتي قال الشاه، أنا أعول كثيراً على بختيار ربما أكثر من اللازم، ثم مضى في تحليل مطول للوضع الحالي. وعلى سبيل المثال ماذا يحصل لو أن الخميني لم يتوقف عن ممارسة الضغط... أو إذا فشل بختيار ..؟

وهكذا عاد إلى موضوعة مجلس الحكم الذي هو مثار قلقه هو وأنصاره. فكان يتمنى لو أن بختيار يرأس هذا المجلس، ومعه اثنان أو ثلاثة من أعضاء مجلس الوزراء، في عضوية المجلس.

وأخيراً أنبأنا الشاه أنه سيغادر إيران بطائرته البوينغ 707 مع طاقمها الأصلي. وسيستخدم الرقم التعريفي العادي للطائرة وأنه سيقودها شخصياً، وهو لا يريد أن يعطي الأنطاع أنه يهرب من الفوضى، كلا .. فهو ماض في إجازة فحسب. ولكنه لن يستطيع أن يرحل قبل تنال حكومة بختيار التصويت على الثقة من البرلمان الإيراني، وكان موعد التصويت قد حدد يوم السبت المقبل.

بعد ساعتين كانت الزيارة قد انتهت. ورافقنا الشاه حتى الباب، وودعنا بمصافحة قلبية.

عدت مع سوليفان إلى السفارة، ومن هناك عدت من فوري للذهاب إلى المقر العام للقوات المسلحة الذي يبعد أربعة كيلومترات. وفي مكتب الجنرال جهارباغ كانت المجموعة في انتظاري. وكان معهم هذه المرة الجنرال موغدام (Moghaddam) رئيس جهاز الشرطة السرية ، السافاك.

أخبرتهم قبل كل شيئ، أن الشاه يقيم خطط عملهم وربما يريد أن يشاهد شيئاً على الورق بالسرعة الممكنة. ثم أني أعدت الطرح عليهم، من الضروري الانتباه لموظفي الكمارك ومراقبتهم، فهم يتركون كميات كبيرة من الأسلحة والاعتدة أن تدخل البلاد، ثم توزع في المساجد، ولكنهم يغلقون الحدود تقريباً بوجه المواد الغذائية.

ثم أني بذلك أحتجت للكثير من الوقت لتشجيع المجموعة، ولكن ذلك لم يكن أمراَ سهلاً، وعلى الأقل توصلت المجموعة إلى قرار أن يبقوا في البلاد ولا يغادروها، ولكن فكرة الانقلاب العسكري الغير ناضجة في أذهانهم ما تزال تخامرهم.

وعندما انتهت هذه المحادثة، حدث شيئ مدهش. إذ قال الجنرال جهارباغ لي: "هناك شيئ آخر، وهو ما نريد قوله لك، أن الشاه قد أمرنا، أن نستمع إليك، وأن نثق بك، ونتعاون معك ".

كان جميلاً الأستماع إلى ذلك، ولكن كان علي أن أكون حذراً، بأنهم يحتاجون إلى قيادة، وعسكرياً فأنا أرى أن هذه هي مهمة الجنرال جهارباغ وليست مهمتي.

في الحديث المسائي مع واشنطن، قرأ لي وزير الدفاع ببطء ووضوح التعليمات، التي كانت قد أرسلت إلى السفير سوليفان يوم 4 كانون الثاني – يناير، وقد استغربت: ترى هل يعتقدون في واشنطن ربما، بأني لا أحافظ على الأوامر وأنفذها ..؟

ثم أعاد على براون المونولوج ونفس المغزى، أن على العسكريين أن يقفوا خلف حكومة مدنية، إذا كانوا ينتظرون الدعم من حكومة الولايات المتحدة، وبنفس الوقت عليهم أن يتخذوا إجراءات لاستعادة النظام.

فجأة شعرت بأني كالبهلون الذي يرقص على الحبال، أولاً ينبغي علي فعل كل شيئ لإيجاد حكومة مدنية غربية الأتجاه، ولكن ليس أي واحدة، بل بختيار رئيساً للوزراء. التوازن الآن يكمن الآن في حال فشل الحكومة، وفي اللحظة المناسبة، أن أدع العسكريين ينفذون ما في أذهانهم أن يفعلوه.

ولكن هذا يناقض توجيهاتي السابقة التي وصفت لي. لا تعليمات ... بل تقديم النصائح، وأوضحت ذلك لبراون، وهو أعاد علي الأمر بأن أكون فقط مستشاراً وليس كمن يصدر توصيات .

الجمعة: 12 / كانون الثاني - يناير / 1979

استيقظت في الساعة السادسة، لكي أكون في مكتبي قبل أن تغلق الحشود الكبيرة الشوارع. قبل أن عظمت وسائل الإعلام من وجودي في إيران، وهو ما هدد حياتي. ولذلك كنا نسلك كل يوم طريقاً آخر، وسيارة أخرى ليست أمريكية أبداً، بل سيارة إيرانية تبدو رثة جداً بحيث لا تجلب أنتباه أحد. كما لم يكن على السائق أن يقف لأن بعض الناس ربما كانوا ينتظرون أنتزاعي.

وعندما وصلت مكتبي في القيادة العامة للقوات المسلحة، رجاني الجنرال ربيعي أن أتوجه إليه في مقره في قيادة القوات الجوية في القاعدة الجوية دوشان تبة لزيارته. وكان يشكو خائفاً بحيث أني لم أستطع رفض رغبته، رغم أني وخلال تعاملي مع المجموعة، لم أكن أريد أتحدث معهم كأفراد.

كان حارسي الشخصي يعتبر أن القاعدة الجوية في دوشان تبة هي أخطر مكان في كل طهران، وفي طريق عودتنا، حاول الناس عدة مرات إيقافنا، وبعضهم قفز فوق غطاء المحرك، وآخرون كانوا يفسحون لنا الطريق.

أستقبلنا الجنرال ربيعي في المدخل، وبالكاد عندما صرنا في مكتبه، فقد السيطرة على نفسه تماماً، وقال أنه علم من مصدر موثوق، أن جميع الجنرالات حتى رتبة لواء سيقدمون فوراً للمحاكمة.

سألته بحق السماء، ما هي مناسبة هذا. فأجابني أن التهمة الرئيسية هي الفساد، ولكن هناك مؤشرات، أن كل من كان داعماً للشاه أو لبختيار سيكون من المتهمين.

وعندما هدأته بصعوبة، بدأ مرة أخرى بكيل التهم للولايات المتحدة، كانت لدينا امكانيات كافية، لوضع الخميني بسهولة تحت السيطرة، فقط إذا شئنا ذلك (الأمريكان) أو على الأقل كان بوسعنا أن نرغمه أن يرفع يده عن السياسة.

فأجبته : إذا كان العسكريون يعتقدون أن نفعل هكذا بالخميني، لا أفهم لماذا لا يفعلون شيئاً بقبضتهم هم، ولا سيما أن بوسع المرء بأستخدام النقود أن يفعل كل شيئ.

وحول هذا أجاب ربيعي، الإيرانيون لا يستطيعون وضع اليد على أصحاب المقامات الدينية الرفيعة، وهذا أمر محسوم بحسب الشريعة والقانون الإسلامي، ومن الغريب أن القوانين الإسلامية ليست ضد شخصاً يجد شخصاً آخر يفعل القذارات.

رن جرس الهاتف، كان الشاه على الهاتف، وعندما انتهت المكالمة وأغلق الربيعي الهاتف، بدأ غاضبا بالشتائم، فقد طلب منه الشاه أن يضع له خطة الطيران، كان الوقت يضيق، وكان الشاه بحاجة إلى بيانات خطة الطيران، الطاقم يجب أن يكون ملائم، وتجهيز الطائرة للإقلاع.

هب الجنرال ربيعي قائلاً: لا يستطيع العسكريون أن يدعوا يدعوا الشاه يغادر البلاد ببساطة، وصرخ الربيعي، وفي حالة الضرورة بوسعنا إعاقة المدرج، وإذا أقلعت الطائرة رغم ذلك أطلاق النار عليها. يجب أن نعود إلى المربع واحد، ثم نبدأ من جديد. وفي ختام سورته بدا خجلاً بعض الشيئ.

وعندما تحادثت مع السفير سوليفان مساء، اتضح لي تماماً كيف كانت آرائنا مختلفة. **سوليفان كان يعتقد بكل جدية، أن جمهورية إسلامية بقيادة الخميني أفضل من الحكم عسكري، وأنه لا ينتظر شيئاً من بختيار، وإننا يجب أن نقف مباشرة خلف الخميني وإسناده.**

وقبل حلول منتصف الليل بقليل، حل وقت اتصالي بوزارة الدفاع ومع الوزير براون. براون كان متأكداً أن الخميني سيعود فور مغادرة الشاه للبلاد. فقلت أن الجنرالات لا يناقشون في إزاحة الخميني بعد عودته، أو حرف مسار طائرته قبل وصوله. وبحسب رأي الشخصي أن الحرب الأهلية ستترتب على عودة الخميني حيث ستحدث اصطدامات.

السبت : 13 / كانون الثاني ـ يناير / 1979
في محادثاتي مع السفير سوليفان، حول المشكلة الشائكة في الاتصال مع المجاميع الدينية. وسوليفان كانت لديه أسبابه، لماذا لم يكن طيلة هذه المدة يخبرني. لم أستطع أن أعرف منه، **مع أي الأفراد قد تحادث ؟،** ولكن بالتأكيد ليس مع جماعة بختيار. **سوليفان أيد اقتراحي أن نحمل العسكريين على التحادث مع رجال المعارضة الدينية، وشجعني على المضي بهذا الطريق.**

بعد محادثتي الهاتفية مع واشنطن، ذهبت في وقت متأخر للإطلاع على الأخبار في التلكس، التي أستلمتها مكتوبة، أن وزير الخارجية فانس، قد أعلن رحيل الشاه، لذلك كان على الإيرانيين أن يعتقدوا أن واشنطن قد رتبت رحيله.

الأحد : 14 / كانون الثاني ـ يناير / 1979.
مجموعة الخمسة كانوا سعداء، عندما وصلنا إلى مكتب جهارباغ. لقد طرحت فكرة الأتصال بالقيادات الدينية، التي سمعتها من السفير، **وأن المعارض السياسي بازركان، وآية الله بهشتي كانوا مستعدين، للقاء مع العسكريين، وكانت قد جلبت معي عناوينهم وأرقام هواتفهم من أجل تحديد مواعيد اللقاء.**

تمنع العسكريون في البداية، ثم بدؤا فعلاً بإجراء بعض المكالمات، ثم كانت هناك مشكلة حقيقية، وتحولت إلى مسألة هيبة، أين ستنعقد جلسات اللقاء، وكلا الجانبان مهتمان بهذه القضية.

وسط محادثاتنا جاءت مكالمة من الشاه، إنه يريد أن تقف طائرته على أهبة الاستعداد، ولكنه لم يحدد موعد الطيران، وبناء على رجائنا، أوضح الشاه استعداده، كما في السابق، أن يقول كلمة للقوات المسلحة في المقام الأول عبر الراديو والتلفاز. وعلى الجنرال جهارباغ تهيئة النص وتسليمها باليد له.

ثم جلب جندي إيراني صحيفة طهرانية، ومن ملامحها وعناوينها الرئيسية العودة الوشيكة للخميني.

وكالعادة، ألتفتوا إلي وسألوني، ماذا ينبغي أن يفعلوه إذا طهر الخميني هنا فور إقلاع طائرة الشاه. لم يكن بوسعي سوى أن أعدهم، أن أناقش هذه المشكلة مع حكومتي، ومعرفة فيما إذا كانت واشنطن لديها أي نوع من الاتصالات مع الخميني.

عدت إلى سكن السفير، وكان سوليفان في أشد القلق، لأننا لم ننجح في جمع الزعماء الدينيين والعسكريين تحت سقف واحد، ووجه كلانا اللوم لحكومتنا بأنهم لم يفعلوا شيئاً للتفاهم مع آية الله وتعاملت واشنطن في هذا الأمر في غاية الحذر ولم نكن نحن نعلم لماذا ..؟

قبل أن أذهب إلى غرفتي، سمعت مستجدات مقلقة جديدة، في باريس أعلن الخميني، أنه مع تشكيل " مجلس الجمهورية الإسلامية " وأنه سيعمل على تشكيل حكومته حال عودته.

الاثنين: 15 / كانون الثاني ـ يناير / 1979
أنجز العسكريون عمل خطط جيدة. وفي غضون ذلك علمنا أيضاً كم هي المعابر الحدودية المهمة، وكم عدد الجنود الذين نحتاجهن لحمايتها.

وخلال الجلسة عند جهارباغ، أبلغنا عن تظاهرات جماهيرية جديدة، بنمط جديد معروف : مد يد الصداقة للجيش والشرطة. الجماهير أظهرت عاطفه مشبوهة، وحملوا أحد أفراد الشرطة السرية على أكتافهم، ومضوا يسيرون به كبطل في مظاهرتهم.

وبينما كنا نريد البدء بالاجتماع، سمعنا أن مجلس النواب صوت لحكومة بختيار 38 : 1، وهذا ما تجاوز كل توقعاتنا، وساعدنا، أن نتطلع إلى الأحداث في اليوم التالي. وزير الدفاع براون كانت عنده أنباء طيبة ليبلغني أياها في المساء، أحد معاوني الخميني، وحتماً الموضوع يدور عن إبراهيم يزدي، قد تلقى حثاً من أمريكيون وفرنسيون، أن يرجوا آية الله الخميني تأخير عودته يوماً واحداً، والوزير براون يقصد أن الخميني أستمع ووافق على طلبه.

خلال محادثتي مع براون، كان السفير براون إلى جانبي في غرفة الهاتف الأمين، وزارة الخارجية، كانت قد طلبت منه مؤتمر ـ عبر جهاز التلكس، وكان جهاز التلكس موجود في نفس الغرفة الذي فيه الهاتف الآمن.

بعد تبادل عبارات التحية جاءت السطور الأولى من وزارة الخارجية، وكنت واقفاً بالقرب منه بحيث كان بوسعي أن أقرأ الكلمات التي يلفظها جهاز التلكس: **" نحن نأمل، أنك وحيد، هذا لك فقط لك، ولا ينبغي أن تقع عليه أنظار الجنرال هويزر بتاتاً "**. نظرنا لبعضنا، وكنت أريد أن أمضي طبعاً، قلت له. ولكن السفير لم يكن يريد أن يسمع ذلك، " نحن جالسون في ذات الزورق أليس كذلك ..؟ إذن أبقى ..! ".

ومثال آخر: ما يجري هناك في واشنطن، (أو ربما لا يجري شيئ !) فقد كان كلانا لا يستطيع فهم ما يجري ويدور ونجد أن الوقت قد حان أن أحداً ما في واشنطن يعيد الترتيب والتنظيم، قبل أن يعاد حدوث هذا كله في بلد آخر، ويبدأون من الأول.

الثلاثاء: 16 / كانون الثاني ـ يناير / 1979

تشير العناوين الرئيسية لصحيفة " طهران جورنال " " خميني سيشكل حكومة جديدة " جعلت المجموع تجمد من الرعب، والأفكار الأخرى أوردتها الأنباء : " الشاه سيطير اليوم ". والبعض منهم لم يكن يشاء أن يصدق. وبتقديري كان تاوفنيان كان واقعياً جداً وبما يكفي لكي لا يشك، بينما كان حبيب الله، يرى بهدوء أن رحيل الشاه، هو مقدمة بتخفيف حدة التوتر.

بلغني، أنهم (مجموعة القادة) كانوا في الليلة المنصرمة عند رئيس الوزراء بختيار. ورئيس الوزراء يدرك الآن كم هو مفيد له الجيش في تنفيذ الواجبات، لاستعادة الهدوء وإنهاء الإضرابات. والعسكريون كانوا على ثقة، أن بوسعهم حماية محطات الكهرباء، إمدادات الطاقة، وسائر المؤسسات المهمة، على مدار الساعة.

ثم سمعنا قعقعة طائرة الهليكوبتر فوق البيت، فذهبنا إلى الشرفة وتعرفت على طائرات الشاه الهليكوبتر الستة ومرافقوه في طريقهم إلى مطار مهر آباد.

كانت طائرة الشاه وطاقمها على استعداد للحركة، الجنرال ربيعي كان شخصياً قد قام بتحليق تجريبي في الصباح. وسأل الجنرال جهارباغ بصوت متهدج، بما أنصحه الآن ..؟

فأجبته أن عليه الآن الذهاب إلى مطار مهر آباد وتمثيل القيادة العسكرية. وأنا سأبقى هنا في مقره مع باقي المجموعة .

وكان هذا أختبار على سبيل المثال، بعد أم كان الجميع قد أعلنوا لأكثر من مرة، أنهم يريدون مرافقة الشاه في رحيله إلى خارج البلاد. كيف سيحسمون هذا الأمر الآن ...! هل سيقولون لي أتركنا بهدوء وسيتصرفون حيال المقبل، أن أنهم سيثقون بقيادتي لهم ..؟

بالنسبة لي كان غير مفهوماً، أنهم لم يكونا على استعداد للذهاب إلى المطار، وتوديع الشاه. وشعرت بالارتياح عندما أخبرني الجنرال جهار باغ أنه موافق على اقتراحي، والآخرين أيدوه.

أخذ قبعته وقفازه وغادر المكتب، وكان بوسعي سماع دقات قلب الآخرين، ولكني كنت متفهماً لمشاعرهم، لأني كنت أعرف مدى قرب الذي مضى منهم، كانوا محافظين على موقفهم، ولكني كنت متأكداً أنه كان من الأفضل لهم، لو أن دموعهم أنطلقت من محاجرها.

فتحنا جهاز التلفاز في غرفة الجنرال جهارباغ وبينما كنا نشاهد النقل المباشر، طافت الذكريات إلى تلك الأيام الجميلة تحت حكم الشاه، وسرعان ما شعروا ما فعله الشاه من أخطاء، فمضوا في الحديث عن تلك.

الحاكم في نهاية صراع الإرادات والتصميم قد سقط، فهو لم يستخدم سلطانه بصورة صحيحة، وكانت المرة الأولى التي أسمع فيها شيئا كهذاً حول الشاه .

وكلنا أقترب موعد الرحيل، كلما أرتفع التوتر، ليس فقط في مكتب الجنرال جهارباغ، بل وفي الشوارع. الحرس الإمبراطوري، كما كانت النخبة في القوات الإيرانية، متمركزين، بحيث لا تسمح للجماهير من الأقتراب من المطار، فيما سمح لبعض الشخصيات الهامة فقط.

وكانت اللجنة الحكومية الرسمية للتوديع، تتألف من رئيس الوزراء بختيار وأثنين أو ثلاثة من أعضاء مجلس الوزراء، ثم استطعنا أن نتعرف على الجنرال جهارباغ في الشاشة، إذن كان بين الموجودين.

وعندما أنتهي كل شيئ، حتى الشاه أظهر تأثراً عميقاً، ولكن وغيري يعتقدون أنه وبعد أن أقلعت الطائرة، قد أدرك أنه قد سلم عرش الطاؤوس.

تراوحت ردود الفعل، للضباط القادة مع في الغرفة، بين تنهدات بصوت عالي، وآخر وضع رأسه على كتفي وبكى، وما بدر من الأدميرال حبيب الله بدت لي تافهة جداً، على الرغم من أنه، كما أعلم، أنه كان يقدس الشاه " الاغتصاب لا مفر منه، فأسترخي وتمتع ".

An Ihren Händen klebt Blut

أياديكم تقطر دماً

الجزء الثالث / **DER SPIEGEL 44/1986**

الأربعاء: 17 / كانون الثاني / 1979
في الاجتماع الأول مع الجيش بعد رحيل الشاه، الذي كان في هذه الأثناء قد حل في مصر. أبلغ الجنرال توفانيان أن الموقف الغذائي حرج والإمدادات الغذائية على وشك النفاذ، وفي غضون ذلك علمنا أن هناك 8 ألاف شاحنة على الحدود التركية تنتظر استكمال إجرات الجمارك، فقلت لهم ربما أن الوقت قد حان لتحقيق إجراءات التخليص الجمركي السريعة، وأستحصال موافقة رئيس الوزراء بختيار على ذلك، وأن تحل مجموعات عسكرية في هذه النقاط الحدودية، فوافقوا.

في السفارة علمت، أن قادة المعارضة والجماعات الدينية يجرون محادثات مع دبلوماسيينا وإنها تدور حول ضرورة وضع نهاية لحكومة بختيار ومجلس الوصاية وينبغي أن تزال. وأن الخميني سيعين مجلس الجمهورية الإسلامية، وهذا غير خاضع للتغير.

بعد العشاء اتصلت هاتفياً بوزير الدفاع هارولد براون وأعطيته تقريري. وكان قلقاً بصدد الوقت الذي سنحتاجه لنعطي بختيار الفرصة، وربما أن الجيش سيتعرض للتدمير، بحيث لن يكون في مقدوره عمل انقلاب.

لم يكن بوسعي الوقف بوجههم كثيراً، سيما وإننا كنا نخسر يومياً شيئاً من القوى، سألني وزير الدفاع (براون) كم سيكلف الأنقلاب من خسائر بشرية، فأجبته قائلاً : ربما كثيراً، ولكن بضعة ألاف قتيل اليوم ربما ستنقذ أرواح مليون.

الخميس: 18 / كانون الثاني / 1979
العسكريون كانوا مقتنعين، أن حكومة بختيار ستفشل في اليوم التالي، وأعلن أن المظاهرات سيشارك بها ربما مليونين من الناس، وحالما يتيقن الخميني بأنهم أصبحوا في الشارع، فإنه سيعلن على الفور حكومته المؤقتة .

كنت مع فكرة، سحب كافة الجنود من الشوارع عندما يبدأ الناس القتال مع بعضهم البعض، فليفعلوا ذلك، وإذا أرادوا كذلك حرق المنازل فليحرقوا، وهذا يكفي لأستعراض قوة المتظاهرين، المهم لدينا كان الحفاظ على النظام وحماية بعض المؤسسات فقط.

التقيت في السفارة صديقي القديم أريك فون ماربود، وكان موفداً من وزارة الدفاع من أجل التفاوض مع الإيرانيين حول مواصلة برنامج التسليح، ومن الواضح، أنهم في واشنطون ما يزالون في الأوهام فيما يخص الحالة في طهران.

في الواقع لم يكن هناك من الأموال باقية في خضم الفوضى في البنوك، والإيرانيون، كانوا قد خططوا مسبقاً لأفضل ما يمكن فعله في التخطيط لأشهر وسنين، وكان مضحكاً أن يطرح الموضوع، ولكان إذا كانت هذه إرادة واشنطن ــ فنحن نطيع.

الجمعة: 19 / كتنون الثاني / 1979

بدقائق بعد الساعة السادسة صباحاً وفي طريقي إلى المقر العام، لاحظت وجود مجموعة من راكبي الدراجات النارية في محطة للوقود، وفيما يبدو لي أن هؤلاء هم من يتولى تناقل الأخبار وكما يبدو أنهم من يحرضون الناس. كانوا يتصرفون كعصابة راكبي الدراجات النارية، وليس كأفراد من أتباع الجماعات الدينية، ولكنهم كانوا يقومون بعملهم جيداً.

في الساعة السابعة والنصف صباحاً وجدنا أنفسنا في مكتب الجنرال جهارباغ، وفي الخارج كانت التظاهرات قد بلغت الذروة، وتحيط بالمقر، ويبدون في غاية التنظيم. والانطباع مع الضجيج المألوف، الشعارات واللافتات، وصور الخميني، مما أثار حفيظة العسكريين، وشعورهم بالضيق.

قام الجنرالان تاوفنيان والربيعي بجولات استطلاعية بالطائرة المروحية، ثم أوجزوا الموقف بعدها، أن المسيرات والتظاهرات والكتل البشرية ليست بذلك الحجم الذي تروج له وسائل الإعلام، وتوصلا من خلال مراقبتهما أن الأعداد تتراوح بين 30 ألف وخمسين ألف شخص، أي أقل بكثير مما كنا قد بلغنا به: بمليونين أو ثلاثة ملايين.

وردتنا من رئيس الوزراء بختيار رسالة تفيد بأنه على أتفاق تام مع خطتنا على العمل في نقاط ومعابر الحدود، فبوسع الجنرال جهاراباغ إذا المضي في تنفيذ الأمر.

وقبيل عودتي إلى السفارة بلغني تافونيان حول مهمة ماربورد بصدد مبيعات الأسلحة، أن الوقت ربما غير مناسب لمثل هذه الصفقات، ولكني نجحت على الأقل بإقناعه على الموافقة على لقاء مع ماربورد لإيضاح كل شيئ.

في مكالماتي الهاتفية الليلية مع واشنطن سأل وزير الدفاع براون، عن إجراءات السلامة الشخصية لي، وأنه وبناء على أقتراح من الرئيس، وضعت طائرة خاصة في الطوارئ في مطار طهران ـ مهرآباد، وشعرت أن هذا الإجراء يزيد عن الحاجة إليه، إذ أن طائرتي تقف على أهبة الاستعداد في أوربا تحت الإشارة.

ولم أكن أشعر بالقلق على سلامتي لأن قائد سلاح الجو الإيراني الجنرال ربيعي، كان قد وعدني بأني أستطيع أن أغادر مقلعاً من قواعد سلاح الطيران، ولو أن هذا الأمر بدا مشكوك فيه.

السبت: 20 / كانون الثاني / 1979
قبل البدء بمحادثات العمل، كضربة: جنرال جهارباغ: كيف يدور العمل في معابر الحدود ؟ فكانت إجابته التي أصابتني كضربة: لقد أخمد الأمر ....

لم أستطع استيعاب الموقف ... " في البدء أرسلوا الجنرالات وأطلقوهم ليستطيعوا وضع الحركة على المسرح، ثم يخمد كل شيئ مرة أخرى .. ثم أضاف أن المعارض قد أرخت قبضتها على المعابر الحدودية، فقد سمحوا بمرور الشاحنات عبر الحدود التركية إلى هنا، لذلك فالجنرالات لم يعد يجدونه ضرورياً لمواصلة الخطط.

وكنت أود معرفة كيف توصلت المعارضة لقرار تحديد الهجوم ..؟ هل كان ذلك بالصدفة المحضة، فضل الجنرال جهارباغ عدم الإجابة على هذا السؤال، وأيضاً على السؤال تنفيس العملية مع بختيار وإلغاءها، بقين دون إجابات.

كان الحصول على المواد الغذائية الهدف الوحيد من عملية السيطرة على المعابر الحدودية، كذلك كان مهماً إيقاف دخول شاحنات الأسلحة والأعتدة . ولكن في المقام الأول، توجيه الشعب وإشعاره أن بختيار قادر على إدارة وحكم البلاد- ولكن هذه الفرصة قد ضاعت.

كنت مستاء لدرجة لم يعد بوسعي الوقوف بجانب الجنرال جهاباغ. وفي مكتبي كانت أريد أن أطالع الصحف، بينما تلقيت نداء هاتفياً من الجنرال توفنيان والجنرال ربيعي يرغبان محادثتي. وإذا بهما يبدوان مأخوذان، وكان الجنرال جهاباغ قد قدم استقالته، وسرعان ما ألتمعت في ذهني فكرة، أن ذلك قد يكون مفيداً، فالجنرال جهاباغ لم يكن يملأ منصبه.

ولكن ماذا حدث ...؟ كان رئيس الوزراء في الليلة السابقة قد أعلن، أنه سيفعل ما بوسعه، ولكنه إذا فشل مع حكومته، فإنه سيسلم السلطة للجيش. وهذا بالضبط ما دعا الجنرال جهارباغ لدفع أستقالته.

وأصاب ذلك الجنرالان تايفونيان وربيعي بالفزع، وأن هذه الاستقالة ستقود إلى كارثة، وبالذات الآن، حيث يلوح أتفاق للتوحيد. ولابد لي أن أحمل الجنرال جهارباغ على سحب استقالته فوراً وذهبنا ثلاثتنا إلى مكتبه ودخلنا بدون بروتكولات.

وسألته فيما إذا كان حقاً قد قدم استقالته، قال ليس رسمياً بعد ولكنه أبلغ رئيس الوزراء عن عزمه ونواياه. فهو لم يكن ليشاء قبول استلام الجيش للسلطة، ولذلك فهو لم يكن يريد تحمل هذه المسؤولية.

أوضحت له، أننا كجنود لا يمكن أن يضغط علينا، ومثل هذا الواجب لو تحتم علينا، وأن الاستقالة هو عمل خالي من المسؤولية، وسيكون خيانة للشاه وللبلاد، ولم أكن متأكداً فيما إذا أستوعب حديثي.

وفي محادثة مع السفير سوليفان، توصلنا إلى استنتاج، أنه سيكون من الأفضل أن يظهر الجنرال جهارباغ شيئاً من المثابرة.

تلقينا اليوم أنباء تشير أن مدينة قم المقدسة منذ يوم الجمعة هي تحت الإدارة الإسلامية حصرا. وأن نصف مليون شخص، كما ذكر، والحديث يدور عن الحق في القتال، والجنود منحوا الإدارة لآية الله شريعة مداري وأنسحبوا.

وهذه الأنباء لم تكن مريحة ولكنها لم تصطدم بخططنا، لأن مدينة قم لا تضم مخازن، ولا مؤسسات التي تحتاجها الحكومة بصورة ماسة، لذلك كان القيام بإجراءات عقابية عملاً لا لزوم له.

الأحد: 21 / كانون الثاني / 1979عندما جئت للمحادثة مع مجموعة العسكريين كانوا جميعاً مستائين من الجنرال ربيعي من خلال تصريحاته لصحيفة طهران جورنال (Tehran Jornal) مشيراً إلى عنوان عريض " الإمام الخميني قادم يوم الجمعة، وفي المقال يرد أن آية الله سيعود من منفاه وسيقوم بصلاة الجمعة في مسجد طهران.

وكانت المجموعة كلها تعاني من تراجع في المعنويات، وعندما عاد الخميني يوم الجمعة بعد خمسة أيام، كان كل شيئ قد أنتهى، وقلت لهم ينبغي عليكم أن تتماسكوا، وإلا فإني سأنسحب، أنا أقف إلى جانبكم لنعمل معاً ولكن إذا لم يتحقق ذلك ولم يؤد لنتيجة، فإني سوف أعود فوراً إلى مقري العام في شتوتغارت.

كان الجنرال ربيعي أول من أفتتح الاستعراض معي بقوله، أن الولايات المتحدة بوسعها أن تفعل شيئاً لإبقاء الخميني بعيداً، إذا كانت حقاً تريد أن تقف إلى جاني العسكريين الإيرانيين. فأوضحت له بأنه يعرف

جيداً أن حكومتنا لا تفعل هذا مبدئياً لا تفعل ذلك، ولكن إذا كان العسكريين يرون ضرورة وأهمية إزاحة الخميني، لماذا لا تبادرون أنتم بأنفسكم للعمل ...؟

لا جواب .. إذن فقد أوضحت لهم القضية، واقترحت عليهم المضي بجدول أعمالنا.

في محادثتي الهاتفية الليلية مع وزير الدفاع براون، علمت بأن بأن رئيسي الكسندر هيغ يرى، أن وجودنا العسكري في المنطقة ينبغي أن يتعزز بإرسال حاملة طائرات، ورفع عدد القوات، وكذلك رفع درجة جاهزية واستعداد القوات في أوربا.

الاعتراض الأول، وهو ما كنت أريد أن أثبت قناعاتي ونصائحي، في برقية إلى كل من رئيس المباشر هيغ ووزير الدفاع هارولد براون في رسالة برقية (Telex). إذ كنت أجد أننا ينبغي أن ننتظر قليلاً برفع درجة الإنذار والجاهزية إلى أن نتيقن من خلال مؤشرات على وجود تهديد خارجي. **نعم من المعروف أن قوى غير صديقة تحيط بإيران كالنسور التي تنتظر الفرصة الملائمة لتنقض، وقوى اليسار في الداخل تمثل تهديداً كبيراً، ولكن ينبغي أن نحتفظ بأوراقنا الرابحة حتى يصبح الخطر الخارجي جدياً.**

الاعتراض الثاني، الحملات المخطط لها من حاملات الطائرات أو وحدات أخرى، أنها ينبغي أن تكون حسب طلب رئيس الوزراء باختيار، وأن لا تكون قدراتنا العسكرية معروضة كبداية.

المعارضة طرحت رئيس الوزراء بختيار كعميل للولايات المتحدة، ولم يعد الشعور المعادي للولايات المتحدة للمزيد من التهييج والتحريض، وكان ينبغي علينا أن أن نتصرف قبل شهور إذا كنا بصدد اتخاذ قرار حاسم، وإذا كنا نريد التصرف الآن، أكدت، فينبغي أن يكون حاسماً، وأن استخدام محدود للقوة الهجومية تبدو جيدة، ولكنه متأخر يوماً عما كان يجب وبدولار أقل.

الاثنين: 23 / كانون الثاني / 1979
أقترح قائد سلاح الجو الجنرال ربيعي، أن يقترح على رئيس الوزراء بختيار السيطرة على الطائرة من الجو وتحويل مسارها إلى جنوب البلاد. وبذلك يسهل السيطرة على الجماهير، من جهة، ومنع الخميني من الاستيلاء على أجهزة الدولة.

وأوردت خلال الحديث مشكلة أخرى **وهي تسلل مجاميع تخريب إلى البلاد**، وأمامنا تقارير لأجهزة الأمن أن الليبيين واللبنانيين والفلسطينيين كانوا يعملون على تدريب مقاتلين عصابات إيرانيين، ومن ثم العمل لاحقاً على إعادتهم إلى بلادهم.

ووفق تقاريرنا، كان هناك فعلاً 2000 من هؤلاء المخربين قد تم تدريبهم، وجهزوا بأسلحة إيرانية ويتم تمويلهم من القذافي.. وقد أبلغنا لاحقاً أن الخميني منذ ثلاثة أسابيع بأتصال مباشر مع منظمة التحرير الفلسطينية ومع شخصيات ليبية (PLO) وأن العديد من الماركسيين الإيرانيين قد ظهروا في جنوب لبنان.

الثلاثاء: 23 / كانون الثاني / 1979
بعض الطيارين من الخطوط الجوية الإيرانية (Iran - Air) الذين كانوا في الإضراب، أعلنوا أنهم سوف يطيرون بطائرة بوينغ إيرانية 707 إلى باريس لإعادة الخميني إلى البلاد. وكنت مقتنعا أن الجنرال ربيعي يمكنه أن يحول دون ذلك. ولكن ماذا سيحدث لو أن الخميني يحصل على طائرة ..؟

شخص الجنرال ربيعي ثلاثة ترتيبات ممكنة: اصطياد الطائرة (السيطرة عليها وهي في الجو) ويحولها فوراً إلى بلد آخر، أو إسقاطها من الجو، أو وضع الحواجز والعراقيل في مهابط المطار.

حاولت مرة أخرى لمعرفة ما إذا كان الجيش بنيته أي إجراء ضد حياة الخميني في طريق عودته. ولكنني لم أحصل على أي إجابة واضحة، بل فقط اقتراحات. وذكروا أن هناك مجموعة في سويسرا، تتعامل في هكذا أعمال، ولكن ليس بوسعي أن أقرر أنهم قد اتصلوا بهذه المجموعة.

وأخبرت العسكريين، أن واشنطن ابلغتني قلقها على أمن بعض الأسلحة والمعدات الحساسة، ولا سيما طائرات (F14) وصواريخ (Ohoenix) وسألوني إن كانت السيطرة عليها لم تعد موجودة.

وعلى ما يبدو، أنهم كانوا قد أستبقوا سؤالي هذا، وقال الجنرال ربيعي، أنهم أبعدوا الطائرات والقنابل وسائر معداتها، إلى قواعد آمنة في جنوب البلاد، مثل شاهبهار وبندر عباس. وكانت رسالة من وزير الدفاع براون، أن واشنطن علمت أن الجنرال تشام (Dscham) رئيس أركان الجيش قد أعد خطط طوارئ في حال حدوث إضطرابات داخلية.

هذه الخطط التي كان الشاه قد وافق عليها، أنتقال القوات المسلحة والحكومة المركزية إلى خوزستان على الخليج (الفارسي)، وهذه الخطط تتيح للجيش السيطرة على حقول النفط، والاحتفاظ برأس جسر حيث يمكن مواصل التعاون مع البلدان الغربية. ومن هناك يمكن التقدم ببطء واستعادة سلطة الدولة الإيرانية.

الأربعاء: 24 / كانون الثاني / 1979
أعلن مهدي بازركان، قائد حركة تحرير الإيرانية، وأبرز ممثلي الخميني، وربما كان مرشحاً لمنصب رئيس الوزراء، دعا إلى مؤتمر صحفي كبير. أن الخميني قرر بصورة نهائية أن يعود للبلاد يوم الجمعة.

وعدا ذلك، فقد أعلن بازركان، إنه قلق جداً، لأن حكومة بختيار ضعيفة جداً، وليس بوسعها سوى الاعتماد على الجيش، ولكن الجيش ليس بوسعه تحمل حكومة بختيار طويلاً لأن الإضراب يتواصل، والموظفين لا يذهبون إلى دوائرهم.

إذن على بختيار أن يمضي، وهو الخيار الأفضل لمنع الجيش من التدخل، وعدا ذلك يبدو أن لا يمكن تفادي سفك الدماء، إذ أن أتباع الخميني كانوا قد قرروا تسريع أستقبال آية الله وتسمية الخميني لمجلس قيادة الثورة، وبعد إعلانه على بختيار أن يختفي على أية حال، لأن حكومته ستكون غير شرعية. وحتى صحيفة " طهران جورنال " التي كتبت تقريراً عن مؤتمر بازركان الصحفي، أوردت في عنوان رئيسي وصورة كبيرة للحرس الملكي بالزي القتالي وبجانبه مقال :

" إذا كان آية الله الخميني يعتقد بأن بوسعه السير في طهران، وبيده مقاليد الحكم، كما لو أنه يمسك عباءة الملالي، فإنه لم يجر حساباته بدقة بوجود ألوية الخالدون (قوات النخبة من الحرس الملكي) الذين بالنسبة لهم، فإن الشاه هو في إجازة ليس إلا، ومن يعتقد خلافاً لذلك عليه أن يتهيأ لمعركة قاسية ".

كانت هذه التظاهرة للقوة العسكرية جزء من خطتنا، للإشارة إلى عزم وحزم سلطة القوات المسلحة، وكنا قد خططنا للمزيد من الفعاليات التي تعكس عزم القوات المسلحة، وكان من المفترض أن تتواصل العروض العسكرية في شوارع طهران، والطائرات في سماء العاصمة، وتعكس القوة التي تمتلكها حكومة بختيار في متناول يديها.

الخميس: 25 / كانون الثاني / 1979
وصلنا رسول يحمل ملاحظة: من المرجح جداً أن الخميني سوف لن يصل طهران قبل يوم الأحد. والتأجيل يحمل بعض التسهيلات، ولكن أيضاً عدم أمان جديد، وعندما ستحضر الجماهير رغم تبليغها، ولا تجد الخميني فإن خيبة أملها ستكون كبيرة، وربما ستشك بوجود الخميني، ولا يمكن كبح جماحها..

في غضون ذلك، بدأت تظاهرة لصالح الحكومة، حوالي 30 ألف ـ 35 ألف شخص، أكثر مما كنا نأمل، والتظاهرة ماضية على قدم وساق، وحاولت المعارضة عرقلتها بقذف الحجارة، ولكنهم سرعان ما توقفوا بعد وقت قصير .

وأعداء الحكومة جعلتنا، دائماً ولأي سبب من الأسباب، عرضاً مثيراً للأهتمام، فقد أخبرونا بأنهم جلبوا المزيد من المتظاهرين إلى المدينة لتظاهراتهم. ويمكنهم المشاركة والسير مع التظاهرات المؤيدة للحكومة، ولكننا رفضنا ذلك طبعاً.

الجمعة: 26 / كانون الثاني / 1979

بعد مراجعة الأخبار، لاحظت أن السوفيت شددوا من هجماتهم على الولايات المتحدة، وعلي شخصياً وكانت التقارير اليومية الأكثر دقة حول نشاطي اليومي هي من وكالة تاس، وراديو موسكو، وصحيفة برافدا، يخبرون بها أين أمضيت يومي، ومع من تحادثت. وهذا يعني إذن أن هناك من يبلغ هذه الأخبار من داخل جدران مقري، إذ كان بوسع السوفييت أن يعطوا الأوقات الدقيقة للقاءات التي كنت أقوم بها مع مجاميع العسكريين، وكانوا يعلمون أيضاً متى كان لقاءي مع الجنرال موغدام، رئيس الشرطة السرية، أو حتى عندما كنت التقي وأحادث الجنرال جهارباغ لوحدنا.

ثم حصلنا على أخبار تشير أن تظاهرة في الجامعة تحولت إلى أعمال شغب، وأرادت الشرطة أن تعتقل حوالي ال 2000 من المشاركين، وأطلقت النار فوق الرؤوس، وعندما لم ينفع هذا الإجراء شيئاً، أخفض الشرطة بنادقهم وأطلقوا النار على الحشد، وأسفر ذلك عن 15 أو 20 قتيلاً.

مساء، ومن خلال سماعة الهاتف في السفارة، تناقشت مع وزير الدفاع لسلبيات وإيجابيات بقائي في طهران، ويعتقد بروان أنه على حال فقد حان الوقت أن ننفذ نصيحة الرئيس بأن ترابط طائرة على أرض مطار مهرآباد (طهران) حيث يمكنني الإقلاع بها في حالة الضرورة. وعاد بروان وتحدث عن صادرات السلاح، من الطائرات والاعتدة الحديثة الموردة عام 1975.

واخبرته عن جهود إيريك ماربود، وكان قد التقى الجنرال تاوفانيان الذي أبدى التفهم لهمومنا السياسية، ولكن أن يكون ذلك من خلال أتفاق مكتوب لم يكن يمكن تصوره مطلقاً.

لاحظ براون (وزير الدفاع) أن أقاويل قد وجه للولايات المتحدة، بأنها تريد سحب طائرات (F 16) التي كانت قد باعتها إلى إيران في أن تعاد إليها. لذلك فقد أقترح بروان أن ينظم تحليق تظاهري يؤكد أن الطائرات ما تزال في إيران.

السبت: 27 / كانون الثاني / 1979

" الموت لهويزر "شعار يتزايد على جدران المنازل، وكان الجنود يقرأون هذا الشعار في كل مرة، عندما يجتازون أو يغادرون مقري، وليس هذا فحسب، بل كان أسمي كاملاً يكتب على لافتات التظاهرات كما توضع صورتي أيضاً ..! وهو شرف تقاسمته مع الرئيس كارتر.

المجموعة ناقشت مرة أخرى الحادث الذي جرى في الجامعة، ووصلت لنتيجة أن تصرف الجنود كان صحيحاً تماماً، فقد أطلقوا النار فقط على المسلحين، من الذين بادروا للهجوم على قوى النظام والأمن وكان من العسير توجيه اللوم لهم.

توقفنا بناء على مكالمة عاجلة وملحة للجنرال جهارباغ، إذ بلغ من مصادر موثوقة، بأن سيدة في طهران، وردتها مكالمة من باريس، بأن كمية كافية من الأسلحة قد وصلت، بحيث صار بوسع الخميني القدوم،

وقالت السيدة، وحالما يعلن موعد رحيله من باريس، ستبدأ عملية توزيع الأسلحة، ونحن كنا على علم أن الأسلحة قد تم تهريبها، وخبئت في المساجد، وهذه الأنباء أكدت أسوء مخاوفنا.

الأحد: 28 / كانون الثاني / 1979
أخبرني الجنرال جهارباغ أن رئيس الوزراء بختيار قد أقام اتصالاً مع صديقه حسن نزيه وهو محام إيراني مقيم في باريس، والذي كان صديقاً مع الخميني أيضاً، بأنه قد أرسل بواسطة مساعده يزدي رسالة إلى الخميني يطلب منه تأجيل سفرته حرصاً على سلامته الشخصية. ويزدي أخبره، في هذا الصدد هذا الطلب جاء متأخراً، أن آية الله قد حسم أمره وقراره، وسوف لن يثنيه شيئ عن ذلك.

أصدر بختيار أمره بغلق كافة المطارات الإيرانية، وفجأة تلاشت كل فرص الخميني بالعودة إلى طهران، وهكذا ابتدأت كما يرى ذلك المحامي نزيه، الحركة الأخيرة من الدراما على المسرح الإيراني، في جانب منه آية الله، وعلى الجانب الآخر الجيش، وفي الوسط حكومة بختيار المهزوزة.

حاول بختيار أن يمنح الانطباع، أن الجيش قد أغلق المطار، ولكن آية الله حمل مسؤولية ذلك لبختيار ووصفه بالخائن، وهذا الوصف الذي لم يكن يطلق إلا على الشاه.

الاثنين: 29 / كانون الثاني / 1979
اليوم التالي بدأ بهجوم شديد من البرافدا علي وأطلقت علي " نائب الملك " كشتيمة، ونسبت لي دوراً في القمع الدموي للتظاهرات.

خلال محادثتي للجنرال جهارباغ في مقري، تحدثنا عن خطط بختيار، إذ قال رئيس الوزراء أن الخميني قد قرر العودة، ولكنه لم يضع تاريخاً لذلك، وهو يأمل أن يظهر آية الله المزيد من الحكمة والفطنة إذا عاد إلى إيران.

أما إذا الخميني تمسك حقاً بأقواله في باريس حقاً- فإنه سيصطدم بمقاومة نشيطة، وقال بختيار أن هذا الوضع الذي نحن فيه لا يمكن أن يستمر إلى الأبد، الخميني سيسمح له بالعودة يوماً ما، فلماذا لا يكون ذلك الآن حالاً ..!

بينما كنا ما نزال نتحدث، دوى صوت سرب من الطائرات المقاتلة أف 14 فوقنا، فسألت الجنرال ربيعي، ماذا يعني ذلك .. فأجابني: أنتم كنتم ترغبون بأن نقوم باستعراض قوة .. ونظهر قوة سلطتنا، وأن الطائرات ما تزال في البلاد.

" كم عندك اليوم في الجو ..؟ ".

" لقد خططنا لأكثر من مئة طائرة، لكي يعلم الرأي العام بأننا جاهزون للعمل، وأن الطائرات في متناول يدنا " كان واضحاً أن الجنرال ربيعي فخور بقدراته .

فجأة جاءنا نبأ أن أعداء النظام يستعدون لأقتحام المقر العام لقوات الجندرمة في طهران، وأنا أوضحت للجنرالات، أن الوقت قد حان والقضية حياة أو موت، بضرورة حماية المؤسسات.

والتكتيك الأصح بتقديري أن تطلق الطائرات، واستخدام الغازات المسيلة للدموع. وإذا لم ينقع ذلك، فعلى الجنود أن يخفضوا بنادقهم بدلاً من توجيهها صوب السماء، ليظهروا بأنه الأمر بلغ درجة الجدية.

قام الجنرال جهارباغ من فوره بمهاتفة رئيس الوزراء وأملى على من يمثله (نائبه) بسلسة من الأوامر، وأكد لي بأننا يجب أن نتصرف وفق ما تحادثنا.

وفي نداء ثان، علمنا أن المتظاهرون نجحوا بوضع الفريق تاغي لطيفي أحد قادة الجندرمة تحت سيطرتهم (أعتقلوه أو أحتجزوه)، بعد ذلك بقليل، أخبرنا، أن الجيش قد أتبع تعليماتنا، فالجنود الذين يوجهون فوهات بنادقهم إلى الأعلى، عبثاً لكي يوقفوا المتظاهرين، ما لبثوا أن أخفضوا بنادقهم وأعادوا إطلاق النار. لم نعرف بعد كم سقط من البشر. ولكن نجحنا على أي حال في إبقاء الناس على جانب الشاه.

الثلاثاء: 30 / كانون الثاني / 1979
تحركت بسيارتي صوب المقر العام، وعندما أقتربنا من البوابة الحديدية الضخمة، فجأة بدت ملامح الاضطراب على سائق السيارة، والانفعالات وهو يشير إلى ما هو مكتوب بحروف كبيرة باللون الأحمر على الجدار، والجنود الحراس أشاروا لنا بلطف كما هو دائماً لندخل، ولكن يبدو عليهم (الجنود) القلق والترقب وتطلعوا بنظرة ملاحظة على سيارتنا.

وقد استفسرت عن سبب الانفعالات، وقال لي السائق أن الشعارات المكتوبة على الجدار: " الموت لهويزر " . وهذا ما قد أصبه بصدمة فهو منذ وصولي يأخذني كل يومين إلى مقر القيادة، قوبلنا دائماً بود ومحبة قلبية.

وعندما قرأن الصحف الطهرانية، علمت لماذا كانت ليلة الأمس حافلة بالضجيج، أقرب ما يكون إلى مواجهات دموية، أمام الجندرمة، والمعارضة قامت بتدمير كل حي (التمتع) وأضرمت النار في مصانع البيرة وتركتها رماداً وأنقاضاً، وبالطبع كانت هذه أ'مال تدل على مؤشرات دينية بالطبع، لتحرير طهران من المؤثرات الفاسدة.

ساد التوتر بين القطعات، وكل واحد كان يعلم، أن استعراض القوة سيستغرق هذا الأسبوع. الجنرال جهارباغ كان مغتماً لهذه الحوادث التي جرت أمام مقر الجندرمة، وحاول أن يلقي بالذنب على، في توجيه الأمر للجنود بأن يخفضوا بنادقهم، ويطلقوا النار قائلاً " المذنب هو أنت، **أيديك تقطر دماً** ".

لم أكن أستطيع تقبل هذا، وأنا أيضاً أرتفع صوتي. ففي النهاية كان هو من أصدر الأوامر، وقد تساءلت كيف سيكون بوسعه أن يحكم ويقرر في وجود أزمة حقيقية. ..!

بعد عودتي للسفارة، توجهت فوراً إلى السفير سوليفان، وكان رأي السفير أنه من الأفضل أن نترك العسكريين إلى رئيس الوزراء بختيار يتعامل معهم، ويتولى تهدئتهم، أما إذا عاد الخميني منتصراً، فبالوسع أن يدس المرء له العسكريين.

بذلك كنت موافقاً، وكنت أريد أن أقف إلى جانب بختيار، ليس فقط عن قناعة، بل وأيضاً كانت هذه من ضمن تعليماتي وأفكاري التي جئت بها من واشنطن. وبرأي فإن تشكيل حكومة من عسكريين بقيادة الخميني على المدى البعيد أفضل بكثير.

الأربعاء: 31/ كانون الثاني / 1979
الأخبار تتوالى وهي تحمل القلق والمتاعب. الآن كان قد غدا من المؤكد تقريباً، أن الخميني عائد النهار المقبل الأول من شباط . ولكن الأسوء كان: أنه قد طالب جميع الإيرانيين بالعصيان ضد حكومة بختيار. وهذه الرسالة من آية الله سرت الكترونياً في البلاد ووزعت على أشرطة التسجيل (الكاسيت) وقام أتباع الخميني بإذاعة النص عبر مكبرات الصوت، وأيضاً بالنشرات.

في طريقي اليوم إلى المقر العام، تولد لدي الانطباع، أن نصف السكان هم في الشوارع ويقرأون الصحف. وعندما وصلت مكتبي وأخذت صحيفة طهران جورنال (Tehran Journal) أدركت سبب الاضطراب " الخميني غداً هنا " هذا ما كان مكتوباً على بحروف كبيرة، في التاسع والعشرين سحب المتظاهرون القائد في الجندرمة الجنرال لطيفي من سيارته وقتلوه.

وتحت صورة لآية الله: " أبقوا هادئين، وكونوا صبورين، حتى أكون بينكم "في رسالة برقية (تيليكس) جعلت وزير الدفاع براون يدرك، أن الأيام الأخيرة هي مريحة بالنسبة لي والعداء لي وللأمريكان الآخرين، وشعوري الخاص ينبأني أني يجب أن أبقى وأواصل عملي. ولكن السفير يتصور أن هذا ربما سيكون سلبياً للأمريكيين وللحكومة الأمريكية. وأنا لا أريد أن أتناقض مع تقدير أعلى مسؤول أمريكي في إيران (السفير) وإذا رأى وزير الدفاع ذلك صحيحاً، فإني سآخذ طائرتي تأخذني من مطار طهران، وكإجراء وقائي أرسلت برقية إلى مقري في شتوتغارت (ألمانيا):

" أمر ... لإخلائي من طهران

ـ أطلب العمل المشترك والتعاون، والإجراءات المطلوبة، من أجل تحقيق أفضل أمن، حتى إقلاع طائرتي، واجتيازها الأجواء الإقليمية الإيرانية.

ـ لا يعطى أسم رمزي ولا أسم كودي(شفرة) للطائرة.

ـ يجب أن تكون الطائرة في مطار مهر آباد في 1 / شباط الساعة 06,30 (السادسة والنصف صباحاً) بالتوقيت الإيراني.

ـ يجب أن تدرج الطائرة صوب القطاع العسكري من المطار بعد هبوطها.

ـ لا توقف محركات الطائرة.

ـ الصعود للطائرة سيكون من الباب الأمامي..... وبعدها الإقلاع فوراً.

ـ التأكيد والاتصال عن طريق الاتصال البرقي في السفارة الأمريكية في طهران.

ـ شكراً ... التوفيق " .

في مكتب الجنرال جهارباغ راجعنا مرة أخرى خططنا حول وصول الخميني. يجب على الجيش أن يستقبله في المطار، لا ينبغي أن تكون الجماهير في المطار، لا تتعدي ساحة الشهيد (-Schahjad Platz)، والجيش سيتولى أمنه من أرض المطار وحتى ساحة الشهيد.

وهناك (ساحة الشهيد) سيتولى أنصاره المسؤولية حتى نهاية الاحتفال الخطابي، بعدها سيتولى الجيش مرافقته حتى مقر إقامته.

قلبنا الأمر على كافة الامكانيات، وعلى الأغلب كان يقلقنا أمكانية واحدة: محاولة اغتيال ناجحة أو محبطة. العواقب ستكون فوضى مطلقة، وبأرجحة كبيرة حرب أهلية في كل البلاد. سنكون عندها مرغمين على وضع القوات المسلحة في أعلى درجات التأهب.

الموضع التالي كان هو معنويات القوات. وأجاب العسكريون على سؤالي : ما هو أسوء ما تتوقعونه من الفارين، كانت إجابتهم : خمسة أو عشرة بالمائة، وهو ما يعني 40 ألف رجل كحد أقصى، ليس أقل من ذلك، ولكن ليس أكثر بكثير ..!

آنذاك ذكرتهم ما فعله المعارضون في الفترة الأخيرة، في حادثة كريهة، عذب ضابط برتبة مقدم حتى الموت، إذ ربطت قدميه كل بسيارة .. ثم سارت كل سيارة بأتجاه معاكس ببطء. في إحدى المحافظات،

مزق الغوغاء ثياب زوجة ضابط من على جسدها وأغتصبوها. وبرغم هذه الأحداث الوحشية، كان العسكريون مقتنعون بأن جنودهم سيطيعون الأوامر من القيادة وحتى العساكر .

عدت إلى السفارة حيث كانت الأنباء تنتظرني، أن وزير الدفاع أبدى موافقته على اختفائي (انسحابه المفاجئ السريع)، وأيضاً جاء التأكيد على أمري من شتوتغارت(مقر الجنرال في ألمانيا) وأن طائرتي قد اتجهت صوب تركيا، وستهبط في الساعة 6,30 دقيقة في مطار مهرآباد.

وعندما صعدت على الدرج المظلم في السفارة إلى غرفة مركز الأخبار، لكي أوصل تقريري الأخير إلى واشنطن، كنت مضطرب نفسياً أكثر من أي وقت آخر، وعلى الأغلب كان يقلقني، بأني مضطر أن أترك أصدقائي في أصعب ساعاتهم.

هاتفت وزير الدفاع عبر الخط الآمن، وهو أخبرني بأن للرئيس رأي آخر: بأن أبقى في إيران للمواصلة.

لم أعترض، بل بالعكس سرني ذلك. قال لي هارولد براون (وزير الدفاع) لهذا الوقت الإضافي بأني سأستلم الموافقة، بمغادرة البلاد أما هاتفياً أو تحريرياً.

ومن أجل الإيضاح روي لي بأن الوزير فانس (وزير الخارجية) وبرجنسكي (مستشار الأمن القومي)، وهو شخصياً، والرئيس، قلقون بما ستفعله الحكومة الإيرانية، فيما إذا غادرت قبل وصول الخميني بوقت قصير، أو بعد وصوله بوقت قصير، وفي ذلك أيضاً سنفقد الأتصال بمخلصين في حكومة بختيار، وأيضاً في صفوف القوات المسلحة الإيرانية، سوف لن تعود لنا الفرصة، أن نقدم لهم المساعدة في الدقائق الحرجة والصعبة.

وأخيراً أراد بروان أن يعرف، كيف سيكون بوسعي أن أغادر طهران في حالة الاضطرار. فأنا جالس حقاً كما في فخ، وأوضحت له، بأنني قد أتفقت مع سلاح الطيران الإيراني أن يرسلوا لي طائرة مروحية، لتأخذني من المدينة إلى مطار مهر آباد.

ثم ذهبت إلى سكن السفير، واستلقيت، وأنا أعلم بأني مع يقظتي سأواجه أسوء يوم مر في حياتي.

ملاحظات :

ـ لم يذكر الجنرال هويسلر ماذا يقصد بالمقر العام، ترى يقصد القيادة العامة للقوات المسلحة الإيرانية، أم ترى هناك قيادة له كمقر للبعثة العسكرية الأمريكية، وأين كان يسكن خلال هذه الفترة.

ـ يلاحظ بسهولة التناقض والتضارب في التقديرات ليس بين الجنرال هويسلر كمبعوث رسمي والسفير الأمريكي سوليفان، بل أن هويسلر يناقض نفسه بين يوم والآخر، دلالة على أنه يتعمد تمييع المواقف، وأن يحول دون أي عمل جدي.

أياديكم مضرجة بالدماء
An Ihren Händen klebt Blut

الجزء الرابع
Der Spiegel /1986 / 45

****

الخميس: 1 / شباط / 1979
منذ الساعات المبكرة السادسة كانت الحشود في الشوارع، في القيادة العامة للقوات المسلحة، كانت الإجراءات الأمنية قد صعدت بدرجة عالية، فقد جرى تفتيشنا عدة مرات، وللمرة الأولى التي أضطر فيها في إظهار هويتي، وكانت هناك دبابتان، وقد أطلق رئيس الوزراء بختيار الإنذار من الدرجة الحمراء.

كان الجنرال جهارباغ مندهشاً بعض الشيئ، لرؤيته لي، وأراد أن يعرف لماذا لم أغادر، أخبرته أن الرئيس كارتر يخشى، أن رحيلي يمكن أن يؤدي إلى سوء فهم. والعسكريون كانوا فرحين لوجودي بينهم.

كانوا بدون شك خائفين، من أن يطأ الخميني بقدمه الأراضي الإيرانية، والشاه كما لو كان ميتاً. ولكن ذلك لم يكن يسبب لي قلقاً، مشكلتي كانت: كيف ستتصرف الجماهير، الخميني نفسه، والعسكريين.

عندما أعلن الخميني عدم شرعية حكومة بختيار، وإنه سيرسل عناصر حكومته إلى الدوائر والمكاتب، أنطلق الشيطان من عقاله، ولم يكن تفادي سفك الدماء ممكناً. وكان على أن أستعير وجه لاعب بوكر(يخفي ملامحه وتأثره) إن كنت أريد أن أبقى الرجل القوي، وعلى أكتافي هذه بوسع من يريد أن يبكي.

طهران الآن سوداء من الناس، لذلك قررنا أن نستخدم الطيران المروحي (السمتيات) لاستطلاع الأوضاع من الجو. وحوالي الساعة 8,30 كان هناك بين 750 ألف إلى مليون من البشر في الشوارع، ولكن لم تكن هناك أي علامة على أضطرابات.

كتبت صحيفة طهران جورنال " مرحباً في الوطن " و " الملايين تحي الإمام خميني " وتذكر الصحيفة، أن وصول آية الله سينقل مباشرة في التلفاز والراديو من المطار. بالنسبة لي كان مهماً لأنني كنت أستطيع متابعة العمليات من شاشة التلفاز بشكل أفضل.

كانت فرق النقل التلفزيوني تقف جاهزة في المطار، بحيث كنا على ثقة بأننا سنشاهد وصول الخميني، وسمح لحوالي 1500 شخص بالوصول إلى أرض المطار.

وأخيراً شاهدنا كيف أن الطائرة بدأ بالهبوط، درجت على أرض المطار ثم توقفت. وفتحت الأبواب. في البداية نزل عناصر حماية ومرافقون آية الله، فريق يبدو بحيوية في المظهر. وكنا نعلم أن الخميني كان قد أرسل ثلاثين أو أربعين من عناصره للتدريب في ليبيا لهذا الغرض، وكان يبدو عليهم الاستعداد للتعامل بسهولة مع أي حدث.

ثم حدثت وقفة طويلة، وفي الختام ظهر آية الله على باب الطائرة، وبدأ بهبوط السلم، وكان مرافقوه يقفون خلفه، وساروا به إلى السيارة وكان جنود يرافقونه في المسير.

كان خطاب الخميني الأول قصيراً ولكن ودي، دون لغط، قال أن الحكومة الحالية هي غير شرعية، وأعلن أنه سيسحل محلها حكومة إسلامية حقيقية. ثم مضى كما قد خطط إلى المقبرة وهناك ألقى خطبته الأكبر، وبتفصيل أكبر، ولكنه لم يأت على شيئ جديد، مرة أخرى لعن الحكومة، وقال أنه سيحلها خلال يومين.

وهكذا تم الانتهاء من البث المباشر، وتقارير أخرى جاءت من تقارير، وكنا نحصل على المعلومات من نقاط المراقبة لدينا في الهواء.

الآن لم يعد بالإمكان ضبط النفس، وحتى بينما كان الخميني يتحدث، اندفعت الحشود بأتجاهه وأزداد الازدحام، ولم يخلو الأمر من خطر السحق، وهنا طلب مرافقوه طائرة سمتية (مروحية) لكي تأخذه من هنا إلى حيث مقره.

الجنرال ربيعي أرسل طائرة سمتية (مروحية) مع طاقم من ذوي الخبرة الممتازة، ولم يجد صعوبة في الهبوط، كما لم يكن صعباً إركاب آية الله في الطائرة، ولكن تكبدت مصاعب في إبعاد البشر عن الطائرة، لكي تتمكن الطائرة من الارتفاع، فالبعض منهم وقفوا على أجزاء الطائرة، بينما تشبث آخرون بالدعامات، وبحذر متزايد تمكن طاقم الطائرة من الإقلاع ثمانية أو عشرة من الأفراد كانوا على متنها مما جعل إقلاعها بطيئاً.

اتخذت السمتية وجهتها بداية صوب المكان الذي أتخذ كمقر للخميني، ولكن آية الله أمر بالتوجه إلى إحدى مستشفيات طهران. أبلغنا طاقم الطائرة فوراً عبر اللاسلكي، ولكننا عندما أستلمنا الخبر، كانت السمتية قد بلغت المستشفى تقريباً.

ثم علمنا، أنها هبطت بالقرب من المستشفى. وأن آية الله مع مساعده قد ترجل، ومضى. وكان هذا قد جرى تحضيره من يد طويلة ..! تحفة من التخطيط، وعدا القائد في سيارته، لم يكن ليشاهد أي شخص.

أصيبت مجموعة العسكريين بالذعر، إنهم لا يعلمون كيف ستمضي الأمور فيما بعد .. كنا نريد أن نستفسر لنعلم ونتأكد فيما إذا كان الخميني قد حل عند أصدقاؤه القدامى، عبثاً .... فالثعلب قد نفذ.

الجمعة: 2 / شباط / 1979

السفير سوليفان يظهر قلقه البالغ، من أعتداءات، التي يبعث عليها وجودي في إيران. والتعبيرات العدائية، التي تنهال عليه من كل جانب. وهو يعتبر لا يمكن البقاء مع الهتافات، والملصقات(بوسترات) ورسوم الغرافيتية على الجدران، والعديد من المعارضين للنظام (الشاه) يرون أنه سيصطادونني، ما لم أذهب طوعاً وهم يهددون أمريكان آخرين.

السفير سوليفان وجد من الصواب الآن، ليقول لي بصراحة، أنه قد طلب من وزارة الخارجية أستدعائي، والرجاء أن لا أعتبر الأمر شخصياً.

الآن لم يعد الأمر سهلاً، أن نأخذ مواطنينا من طهران إلى مطار مهرآباد. وقد فكرنا أن نجمعهم خارج البلدة، ونحشرهم في حافلة، ونأخذهم قدر الامكان في أوقات غير أوقات الازدحام إلى المطار.

رغم ذلك فقد تعرضوا للشتائم، وأحدى الحافلات تعرضت للضرب بالحجارة، وآخر قد أوقف، ولكن لم يصاب أحد بضرر، ولكنه على أية حال لم يكن شيئاً مريحاً.

ذهبت إلى المقر العام، وبينما كنت أنتظر في مكتبي، أخبرني ضابط الارتباط، أن رئيس الوزراء بختيار قد دعا العسكريين إلى جلسة لمجلس الأمن القومي. وكنت آمل بأنه سيستخدم القوات المسلحة أخيراً وأن يستلم زمام الأمر بيده، لم يبقى هناك الكثير من الوقت للتصرف.

ولمعرفة كيف كان وضع الحالة المعنوية للقوات المسلحة، أتصلت بالمقر العام لكل فروع الأسلحة، كل البدالات الهاتفية (المقاسم / السنترالات) في القيادات أجابت " لا جديد " وهذا يعني بأن خطابات الخميني لم تكن جيدة، وبالعكس، الجنود يظهرون الوعي، واليقظة والاستعداد القتالي.

وبعد صار واضحاً أننا نتمكن من عقد اجتماع للمجموعة، للمرة الأولى منذ 6 / كانون الثاني / 1979، عدت إلى السفارة، وهناك أخبرني السفير، بأنه أخبر وزارة الخارجية (الأمريكية) بدقة، أي تهيج وتحريض يسببه وجودي في طهران.

في الليل، لم أنم إلا قليلاً، حتى تم استدعائي عبر الهاتف الداخلي، إذ كان علي أن أستعد لاستلام نداء هاتفي من واشنطن. فنهضت، وذهبت إلى الدائرة.

كان الجنرال جونز على الهاتف، رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة الأمريكية. وأقترح علي مع القرار، فيما إذا كنت أريد البقاء في واشنطن أم لا. تقرير السفير سوليفان كان في وزارة الخارجية، والآن فهم يريدون رأي. قلت له، أن ليس بوسعي أن أحاجج مبررات سوليفان.

وأراد الجنرال جونز أن يعلم، فيما إذا كان بوسع الجيش أن يستلم السلطة، عندما لا أكون أنا في البلاد. فأجبته ليس بوسع أحد أن يقول ذلك بالضبط. ولكني واثق، أن القوات المسلحة حالياً، في وضع يمكنها ذلك. إذا أعطاهم رئيس الوزراء بختيار الأوامر.

وأنا لم أخفي، أن السفير له وجهة نظر مختلفة. فبرأيه أن القوات المسلحة تفتقر إلى الاستقرار، وإن إصدار الأمر للأستلام السلطة، سيؤدي إلى نزوح جماعي، وهو يعتقد أيضاً أن نتفاهم مع الخميني، بينما رأي أنا أن ندعم بختيار بقوة.

والسؤال الحاسم، الذي كان على واشنطن الإجابة عليه، " ماذا تريدون حقاً ؟ " ليس هناك طريق آخر، من يريد أن يرى الخميني في السلطة، عليه أن يسحبني من هذه البلاد.

ثم قطع الجنرال جونز السؤال الصعب، من بوسعه أن يلعب دور نقطة الاتصال مع العسكريين، في حالة مغادرتي للبلاد. فأجبت، أن اللواء غاست(رئيس المستشارين العسكريين الأمريكان في طهران)، يتمتع مثلي بثقة العسكريين.

ولكني أشرت، ولكنهم لديهم تحفظات قوية ضد السفير سوليفان، وبرأيهم فهو المذنب في رحيل الشاه. ومن المؤكد أن اللواء غاست إذا كان كذلك على علاقة جيدة مع واشنطن كما كنت أنا، سيستمع العسكريون الإيرانيون بالتأكيد إلى نصائحه.

السبت: 3 / شباط / 1979

وفقاً لخبر من وكالة أسوشيتد برس، أن الخميني قد خرج من مقره، وأعلن أمام مجموعة صغيرة، أن واجبه القادم هو خلع حكومة بختيار التي مضى على وجودها في السلطة 28 يوماً من خلال الدولة الإسلامية.

عبرت المجموعة على أجتماعتنا ومحادثاتنا بسرور، وحول البيان، الذي أعطاه بختيار قبل يوم واحد، على التساؤل ماذا سيفعل، إذا قام الخميني بالإعلان عن حكومته. قال إنه سيتجاهلها.

حاولت أن أجد ما هو رأي العسكريين عن التطور الذي يحدث في كلا المعسكرين (الحكومة والخميني) وآية الله يلعن علناً كأي كمتعصب. فبرأيهم أن جمهوريته الإسلامية ستقود إلى كارثة. وكيف يتصورون المستقبل ؟ إذا صارت اليد العليا بجانبنا ..؟

وحول ذلك قال الجنرال جهارباغ: أنتم تعتقدون، أن إيران ستكون على أفضل حال من خلال حكومة اشتراكية ديمقراطية، (sozial democrat) حسب النموذج السويدي والنرويجي، أو الدانمركي، وبنظام ملكي الذي يمضي فيه الملك ممتطياً دراجته في الشوارع ...

عدنا إلى الخطط في حال تدخل عسكري، وعدت أنا إلى المجموعة بعزم وتصميم، والآن هناك وقود أكثر معروض، ولكن مواد المعيشة كانت بالكاد تكفي، لأن الموظفين في نقاط الحدود والعبور والموانئ قد عادوا إلى العمل، وفي غضون ذلك تنتظر ألاف من سيارات الشحن على الحدود مع تركيا، وحوالي ستين سفينة تنظر التفريغ.

وكنت أصر على حراسة ومراقبة مؤسسات أخرى، لأنني أعلم، أن خميني يريد أن يسحب كافة سلطات الدولة بيده.

وكانت التقارير حول أوضاع القوات المسلحة مطمئنة: وأقواها كانت من الحرس الإمبراطوري، وأيضاً من البحرية، كانت بصفة عامة جيدة، وكان الجنرال ربيعي قد أختبر قواته جيداً ويعتقد أن 75- 80 % من عناصره قد حافظوا على وضعهم، الجنرال بدراي أن نسبة الموثوقين في الجيش، لا سيما في المشاة ب 78 إلى 80%. ولكن ربما هناك بعض المشاكل في قطعات المدفعية التي دربها الروس .

كان الوقت قد حل لأقول لكم، أن أيامي، أو ربما ساعاتي ربما هي الآن معدودة، فأنا أريد طائرة سمتية جاهزة للتحرك بسرعة وتوضع حالاً تحت تصرفي، يجب أن أتحرك نحو مطار مهرآباد فوراً. ولم أكن أعرف بعد، فيما إذا كنت سأطير في خلال 6 ساعات أو 24، أو 60 ساعة القادمة. ولكن ما أعرفه هو أنني سأغادر بالتأكيد.

الجنرال ربيعي وعدني أن يهيأ لي طائرة سمتية، واتفقت معه على شفرة الخطة (آ) إني يجب أن أغادر فوراً بالطائرة، والخطة (ب) تعني إنني سأبقى حتى في اليوم المحدد، وعندما سأتصل به فذلك يعني إني بحاجة إلى الخطة (آ) أو الخطة (ب)

والجنرالات كانوا يفضلون لو أنني أواصل إقامتي، وأنا أفهمهم، ومن جهتي كنت سأفضل البقاء، ولكن القرار الحاسم لم يكن في يدي، بل بيد رئيسنا.

إنني أتذكرهم دائماً بلا هوادة، بكل ما فعلوه حتى الآن، وفقط بضغطي المتواصل تحقق ما تحقق، الحكومة يمكن تقديم الاستشارة لها، ولكن بحيث نحسب امكانية الفشل معها، في هذه الحالة على القوات المسلحة أن تبادر بقوة وحيوية، وأن تضع البلاد تحت السيطرة. إذا حدث هذا الوضع، قلت لهم بكل صراحة، ربما لا الجنرال جهارباغ، ولا قوة الإرادة ولا الشجاعة الضرورية تحققها.

حل الصمت وتركتهم لفترة، ثم قلت، قبل أن أغادر البلاد، أريد أن أعرف بدقة، ماذا تفكرون بعمله، إذا سقطت الحكومة. لم يجبني أحد منهم بكلمة، بل واصلوا التحديق بوجهي.

وأخيرا، كسرت حاجز الصمت. وقلت "هذه هي لعبة كل شيء أو لا شيء، والميدان هو بلدك " وأضفت أنا على أمل أن الجنرال جهارباغ على الأقل سيكون له رد فعله، وفي أعماقي، كنت أتمنى أن يستشيط غضباً ويرد علي.

لكن لم يحدث شيئاً من هذا. جلس فقط بصمت هناك، وصمته أكد لي بأنني كنت على حق. إذن وقفت وقالت: "حسنا، لدي انطباع، إن لا تستحق المشقة، لأن أيا منكم لا يريد مواجهة الواقع."

والآن وقفوا جميعاً، والجنرال ربيعي الذي يسميني نفسه منذ سنوات ب أخي، باد إلى القول " يا أخي إذا كان هذا ما تخشاه حصل، سوف أستلم القيادة وأفعل كل شيئ، لكي أدفع عن بلادنا الخراب ".

ونظراً للظروف، لم أكن أريد المضي لأقرب من ذلك، ولم أكن أشك أن الجنرال ربيعي كان يعني ذلك، وتبادلنا المصافحة.

كنت أتوقع، كل ما بدا لي مهماً، وها قد حان الوقت، بأن أرسل تقاريري إلى واشنطن، استعديت لإلقاء تحية الوداع، وحلت في نفسي مشاعر غريبة، ليست انفعالية، ولكن الأذرع أمتدت لوقت أطول وضغط الأيدي كانت قوية.

كانت هناك معانقات، مع الربت على الظهر، بل أني فوجئت بكلمات التوديع القلبية والصادقة من الجنرال جهارباغ، فالرجل كان وما يزال إلى اليوم لغزاً من الألغاز.

بقلب ثقيل، وعدم يقين، غادرت المجموعة، وفي الوقت المتفق عليه، أتصلت هاتفياً بواشنطن، كان الجنرال جونز في الطرف الآخر، وزير الدفاع براون، ووزير الخارجية فانس. ومستشار الأمن القومي برجنسكي.

سألني وزير الدفاع براون بصراحة فيما إذا كنت راغباً في الرحيل، فأجبته : إنني ما زلت غير قادر على أتخاذ هذا القرار. وأنا شخصياً أعتقد لا ينبغي أن أبتعد، ولكن إذا لم يكن للأمر من بد، فأنا أنصح بأن أعطي المهمة للواء غاست، وأن يحدث ذلك على الفور. أنا أعلم أن العسكريون الإيرانيون سيتعاونون معه.

ثم كان هناك وابل من الأسئلة، وتبادلت بعض الكلمات مع الوزير فانس، وفي الختام طلبوا مني أن أبقى على الهاتف، والحفاظ على الخط، لأنهم يريدون أن يتشاوروا فيما بينهم، فيما إذا يتعين على البقاء أو الرحيل . لم يستغرق الأمر سوى بضعة دقائق، ولكنها بدت لي طويلة جداً.

وأخيراً، ظهر وزير الدفاع برازن على الهاتف، وقال، لقد تم أتخاذ القرار، بأنني في هذا اليوم أو في يوم الغد، (حسب رغبتي)، على أن أغادر عائداً، ولكن يجب عدم الظهور وكأنني أهرب من طهران.

براون أعطاني التعليمات، أن أطير بواسطة الطائرة(C 130) الجاهزة في مطار مهرآباد إلى قاعدة أنجرليك في تركيا، ومن هناك بطائرة إلى شتوتغارتحيث سأهبط. وهناك بوسعي أخذ استراحة، ولكن بعدها فوراً إلى واشنطن، لأن الرئيس يريد أن يلتقيك يوم الأثنين، مباشرة في الساعة الأولى من المناقشة.

وبهذا أنتهت المحادثة الهاتفية، وأخبرت السفير عن قرار واشنطن، وأتصلت بالجنرال ربيعي، وقلت له أننا سنعمل وفق الخطة A.

توجهت إلى المسكن (سكن السفير) وحزمت أغراضي، وودعت موظفي السفارة. وكان المغيب قد حل، مع خيوط من الضوء، أتجهنا إلى القيادة العامة للقوات المسلحة.

كان رأي مرافقي وحارسي، أنه ينبغي أن يرافقني ثلاثة أشخاص في الطائرة السمتية، حتى أصل إلى الطائرة C130 . وأحدهم سيرافقني حتى شتوتغارت. وعندما وصلنا القيادة العامة للقوات المسلحة، كانت الطائرة السمتية وطاقمها بالاستعداد، وحملنا أمتعتي، وودعت عناصر حمايتي الباقين في طهران، واللواء غاست، وركبت السمتية، الأمر الذي أشعرني بنسيم المساء الرطب، وعلى أرتفاع 500 قدم، أتخذت السمتية وجهتها صوب مطار مهر آباد.

كانت الظلمة قد حلت تقريباً، عندما وصلنا المطار، وفي مهبط الطائرات السمتية، حياني الجنرال قائد القاعدة الجوية، (الجانب العسكري من مطار مهر آباد الدولي المدني) وضباط إيرانيون آخرون، وتوجهنا معاً صوب الطائرة المخصصة لي C 130، وعندما صعدت إلى الطائرة، سأل أحدهم، فيما إذا كان يتعين علينا الإقلاع، لأن حظر الطيران كان يسري بعد حلول الظلام.

ليس لأني كنت أريد خوض مغامرة لا ضرورة لها، بل أكثر من ذلك، أن الجنرال ربيعي قائد سلاح الطيران كان يعرف نوايايا وربما أخبر جماعته، وبدا احتمال إسقاطنا بواسطة طائرة مقاتلة بعيداً، لأن جماعات المعارضة ومن خلال المتعاطفين معها ضمن السلاح الجوي الإيراني يريدوننا على قيد الحياة، لذلك بدا لي أن هجوماً بالصواريخ بعيد الاحتمال.

كان الطاقم عليه أن يشك بعض الشيئ، فقد كنت أرتدي الملابس المدنية، ومن خلال السترة الواقية من الرصاص، كان جسدي العلوي يبدو ضخماً، وكان حارسي غير حليق، وقد ترك شعر رأسه ينمو طويلاً أكثر مما هو معتاد لدى العسكريين، وغير مألوفاً حتى بين السكان المحليين، كان مسلحاً بشكل جيد، ويرتدي أيضاً سترة مضادة للرصاص.

أشتغلت محركات الطائرة، ودرجت الطائرة حتى وضع الانطلاق، ثم أندفعت إلى الأعلى وأخذت الاتجاه الشمال الغربي باتجاه الحدود التركية.

كان الطاقم بحدق في الظلمة، ليستبعدوا أي خطر محتمل، لم يكن هناك حديث كثير مع المحطات الأرضية، وأيضاً لأستبعاد إي إشارة لاسلكية. وعندما طرنا فوق الحدود التركية، خف التوتر، وما تبقى من الطريق إلى قاعدة أنجرليك، اتخذت الطائرة مستلزمات التحليق العادي.

وضع الطيار الطائرة في وضع سلس، ومضى يتبع تعليمات أبراج السيطرة، يدرج حتى جوار الطائرة (C 135) التي ستأخذني إلى شتوتغارت.

الأحد : 4 / شباط / 1979
وقبل مواصلة الطيران إلى واشنطن، تمكنت من قضاء بضعة ساعات مع عائلتي في شتوتغارت، وفي فترة بعد الظهر أتصلت بسفارتنا في طهران. وقد التقى اللواء غاست مع مجموعة القادة، وأبلغ، أنهم ما يزالون يقفون بكل قوتهم خلف رئيس الوزراء بختيار، وفي المساء، طرت إلى واشنطن، وخلال رحلة الطيران، حظرت أوراقي وملاحظاتي التي سأقدمها للرئيس كارتر.

الاثنين: 5 / شباط / 1979
في الصباح الباكر أبلغت عن حضوري في البنتاغون (وزارة الدفاع الامريكية)، ثم مضيت إلى البيت الأبيض. رافقني برجنسكي إلى المكتب البيضاوي (مكتب الرئيس). وعندما دخلنا، نهض الرئيس من على مكتبه وجاء بمواجهتنا. وأديت التحية العسكرية وقلت " الفريق أول هويزر كما أمرتم جاهز لتقديم تقريره سيدي ".

حيني الرئيس قلبياً، وأشار لي أن أجلس على الكنبة، أمام الموقد، قائلاً " دعنا نتحدث قليلاً ". وفي الدقائق الثلاثين أو الأربعين تحدثنا مفصلاً حول الوضع في إيران.

بغتة نظر إلى الرئيس وسأل " ماذا أفعل مع السفير سوليفان برأيك، هل أصرفه من الخدمة وأرسله إلى بيته ".

قلت لا، فهو في النهاية رجل مقتدر وحيوي. " ولكن ربما أن تعطيه بعض التعليمات ".

كان سوليفان قد تلقى ذات الأوامر التي تلقيتها، ولكن لماذا لم يتبعها ..؟.

" السيد الرئيس ... ربما أنكم لم تفهموني، أنا قلت، عليكم أن تعطوه تعليمات ..!".

" أنا كنت على ثقة، بأن التعليمات التي كانت تصلني، كانت بالضبط تلك التي كان الرئيس يرسلها. ولكن تلك التي كانت تذهب إلى سوليفان كنت أشك فيها، وبالصفة عرفت أنا كان غالباً ما يتحدث مع موظفين صغار في وزارة الخارجية، وبالتالي لا يمكن أستبعاد أن هؤلاء الناس، وعند نقل توجيهات الرئيس أضافوا عليها توابلهم . على أية حال علمت للمرة الأولى من مصادر موثوقة، أن السفير سوليفان، لم يكن مقبولاً كثيراً في واشنطن.

الثلاثاء: 6 / شباط / 2015
وصلت في الساعة 6,30 إلي البنتاغون، وطالعت الأخبار التي وردت خلال المدة، ومن بينها كان التقرير اليومي الذي أرسله اللواء غاست من طهران. في المدينة، هكذا يكتب غاست، كانت هادئة بشكل عام، وكل يوم هناك المزيد من الشوارع تصبح سالكة (لخلوها من المتظاهرين) ومفتوحة للمواصلات.

في غضون ذلك أعلن الخميني حكومة مهدي بازركان كرئيساً للوزراء، بختيار أعلن أن لا مانع لديه إذا كانت حكومة بازركان "حكومة ظل".وطالما أن هذا لا يزعج أعمال الحكومة الشرعية.

ثم أبلغنا اللواء غاست رسالة مثيرة للقلق، أن الحكومة أعلنت أنسحابها من حلف السنتو. وإذا كان هذا يعني حياد إيران بين الولايات الماحدة والاتحاد السوفيتي، سيكون من الصعب، إمداد ودعم بختيار عسكرياً. وعلى الأقل فإن الكونغرس سيتساءل فيما إذا كان الدعم مفيداً.

بحسب الجنرال بكشيدشار، أحد الضباط القادة في رئاسة الأركان الإيرانية، وهذه المعلومة بلغت أسماع اللواء غاست، أن الخميني يرى أن بختيار رجل جيد، ويجب أن يكون في السياسة وليس في السجن، وإذا كان بختيار يريد أن يبقى رئيساً للوزراء، بحسب ناقل النبأ، فإن عليه قذف جنرالات كبار خارج الجيش بأستثناء الجنرال جهارباغ.

الأربعاء:لخبر باهتمام كبير، لأني كنت دائم الشكوك بشخص الجنرال جهاباغ، لأن الخميني أراد ضمه كقائد عسكري، ولكن هذا الأمر سبب لي بعض القلق.

الأربعاء : 7 / شباط / 1979
عودة مرة أخرى إلى شتوتغارت. في الصباح الباكر، كانت هيئة ركني قد هيأوا لي في مقري، أستقبالاً رائعاً، كمقاتل يعود منتصراً من معركة كبيرة. وهم محقين في رؤيتهم لها معركة كبيرة، ولكن ربما لا يمكننا الحديث عن نصر.

أتصلت بالجنرال هيغ هاتفياً، وأخبرته ما حدث في هذه الفترة، وقد ذهل بصدد غياب التنسيق في واشنطن، وهو أيضاً طرح السؤال، لماذا لم يستلم السفير سوليفان آنذاك نفس التعليمات والتوجيهات كتلك التي كنت أستلمها. وكعادته، مضى بعبارات قوية ينتقد الحكومة بعدم توفقها في القضية بأكملها.

الخميس: 8 / شباط / 1979
استلمت من واشنطن تقارير حول المحادثات الهاتفية الأخيرة مع اللواء غاست من طهران. وهي تتحدث، أن مجموعة القادة قد أجتمعوا لساعات طويلة،بدون أن يعطوا الفرصة لغاست أن يعبر عن رأيه، بعد مضى العسكريون مباشرة إلى رئيس الوزراء بختيار.

الأوضاع العامة في إيران قد ساءت كما تبدو الآن، الاقتصاد متوقف تقريباً، لم يكن هناك ما يشاهد أو يلمس من القانون والنظام.لم يعد إنسان يحترم القانون، العناصر الظلامية تزحف من جنوب العاصمة إلى شمال المحافظة، يسرقون وينهبون، بختيار فعل ما كان يحذر منه: بلا عمل لا توجد نقود، الآن يتظاهر العمال المضربون.

الجمعة: 9 / شباط / 1979
في تقرير للواء غاست، أبلغ عن اشتباكات آخرى. في الشوارع تراكمت جبال من القمامة، الجنرال جهاراغ وعسكريون آخرون يراقبون هذه التطورات بغضب. ولكنهم عاجزون عن التوصل لقلر يتخذونه لفعل شيئ.

أحد ديبلوماسينا أوضح للصحافة، أم محور بازركان / خميني سيكسب السلطة سريعاً، وحكومة بختيار تضعف بأستمرار. وردود فعل العسكريين حساسة جداً لمثل هذه التصريحات، فهم براون فيها **إشارة أن حكومتنا(الولايات المتحدة) تتحرك صوب الاتجاه الآخر.**

لكن الأسوء ما زال أمامنا، في المساء حوالي الساعة 20,30 بتوقيت طهران، أندلعت الأضطرابات في القوات المسلحة، وأعادت محطة التلفاز بث وصول الخميني إلى إيران. في عملية يهدف منها أنصار الخميني تحريض المشاعر، واستفزازها في كلا الجانبين.

في القاعدة الجوية دوشان تبة، التي تضم أيضاً القيادة العامة للقوات الجوية ومقر الجنرال ربيعي، تظاهر منسبو السلاح الجوي لصالح الخميني، وحاولت قوات الحرس الإمبراطوري أن تمنعهم، وحصلت مشاجرات، ثم تطورت إلى إطلاق نار، وكان واضحاً أن هذا الحادث قد خطط له وأدير من خارج القاعدة.

السبت: 10 / شباط / 1979
في الصباح التالي، الساعة الثامنة، عادت الصراعات. إذ قامت مجموعة من الجنود من السلاح الجوي الإمبراطوري، بكسر مشاجب السلاح، واستولت على ألاف البنادق، وكميات كبيرة من الأعتدة. لاحقاً تطور إطلاق النار في أرجاء أخرى من المدينة (العاصمة) وأحرق المتظاهرون الكثير من إطارات السيارات.

الأحد: 11 / شباط / 1979.
في وقت مبكر من نهار اليوم، يسمع إطلاق النار في كافة أجاء المدينة، وكان هذا اليوم هو يوم الحساب. ومرة أخرى كانت القاعدة الجوية دوشان تبه، وتطورت هذه المرة بحيث طالبوا أستسلام الجنرال ربيعي.

أغتيل الجنرال بدري القائد الأعلى للجيش، أمام قيادته. وحسب بعض التقارير أن جنوده هم الذين أطلقوا عليه النار، والمقر العام ومكاتب الجنرالات الأركان، التي كان المستشارون العسكريون الأمريكان يقيمون فيها أيضاً، أضحت تحت زخات من الرصاص. الشبابيك في غرف الجنرال غاست قان الرصاص قد نال منها. وكان عليه مع ضباط ركنه الهبوط إلى الطوابق السفلى في أعماق البناية.

وفي نفس اليوم أيضاً سقطت حكومة بختيار. القوات المسلحة تفككت، وباستثناء الجنرال جهارباغ، سيق كافة القادة العسكريين إلى الاعتقال. وتولت عناصر مسلحة من أخذ الجنرال ربيعي معتقلاً وأودع السجن. الأدميرال حبيب الله أعتقل كذلك، ولكن أطلق سراحه بعد ذلك بقليل. وكذلك تاوفنيان، والجنرال شوسروداد، والجنرال ناجي، وآخرين كثيرين، وضعوا رهن الاعتقال.

في هذا اليوم، جاء الجنرال هيغ إلى شتوتغارت، وجلسنا سوية في مكتبي، عندما أخبرت، بأن تشارلس دونكان، وكيل وزارة الدفاع يريد أن يتحدث معي.

في بداية المكالمة الهاتفية، ابلغت واشنطن أن الجنرال هيغ جالس ويستمع. قال لي الجنرال جونز، أن في الطرف الآخر أيضاً هناك دونكان، وبرجنسكي حاضران .

أخذ دونكا زمام المكالمة، وسألاني، فيما إذا كنت متابعاً لما يجري في طهران. ثم جاءت المطرقة ..! دونكان أراد أن يعلم، فيما إذا كنت مستعداً للعودة إلى طهران، لكي أتولى قيادة الاستيلاء على السلطة من العسكريين.

وأعدت عليه ما كنت متأكداً منه، أن كامل هيكل القوات المسلحة الإيرانية سينهار إذا استقال الضباط الكبار، والآن الوضع أسوء بكثير، إنهم قابعون في السجن. لذلك لم يعد ممكناً، تحقيق خطط غيري بقيادتي.

دارت ألاف الأفكار في رأسي، لماذا لم يسألوني هذا السؤال عندما كنت لا أزال في طهران. حيث كانت القوات المسلحة لا تزال صالحة للعمل، ويطيعون أوامر جنرالاتهم. الحرس الإمبراطوري يحوز قوة كافية، لكي يقود التحول إلى سلطة عسكرية، لا بل يقف مع بختيار عدد من السياسيين بما في ذلك سياسيين هم الآن في الحكومة.

هل ستجد الولايات المتحدة الآن سياسيين مناسبين جدد ؟ أي دور سيضطلعون به ؟ ثم هناك خيبة الأمل: بالطبع تحدث دونكان عن تبديل سلطة وفق التصور الأمريكي، وهذا يعني أن علي أن أقنع ضابطاً إيرانياً كبيراً لكي يستلم المبادرة.

أسمحوا لي أن أركب بالون اختبار، وأضع شروط صارمة، وفقط عندما تلبى لي، سأكون مستعداً للعودة إلى طهران:

أولاً: أنا أصر على مبالغ غير محددة، ثم أني أريد إلى جانبي شخصياً عشرة أو إثنا عشر جنرالاً أمريكياً لهذا الواجب، إلى جانب حوالي 10 ألاف رجل من أفضل القوات الأمريكية، ولا أعرف كم من الجنود الإيرانيين يمكنني الاعتماد عليهم. وأخيراً أحتاج دعم وتأييد وطني غير محدود، والمساعدات معنوية لوحدها غير كافية، ولا يمكن أن يكون دوري هو استشاري بحت.

كانت هناك وقفة طويلة تقريباً، ثم أنني بعد ذلك أعطيت الجواب، قلت لمحدثي، أنهم ليسوا في وضع يمكنهم المضي في هذا الاقتراح، والشعب الأمريكي سوف لن يوافق على شيئ من هذا، إذن القرار بصوت عال: ليست ممكنة.

تساءل برجنسكي عن الوضع في جنوب إيران، وجنرال جونز سأل الجنرال هيغ، فيما إذا كانت لدية ملاحظات، فأجاب بكلا، وبهذا اختتمت المكالمة.

قدم الجنرال ربيعي مع ثلاثة آخرين أمام المحكمة. حسب مقاييس الثورة الإسلامية، المحاكمة ابتدأت في منتصف الليل، والإعدام رمياً بالرصاص يتم عادة الفجر. وأعتبر الأربعة مذنبين، وحكم عليهم بالموت. وقبيل بزوغ الشمس، تدخل بازركان شخصياً وحصل على تأجيل التنفيذ بالجنرال ربيعي.

ربيعي بقى حتى شهر أبريل / نيسان في السجن، ثم قدم مرة أخرى للمحاكمة، وحكم عليه بالموت، وقبل بزوغ النهار، تم إعدامه. والخميني بنفسه طلب إعدامه.

الجنرال تاوفنيان أستطاع الخلاص من السجن، وبعد عدة أشهر مغادرة إيران. ظهر أولاً في ألمانيا، ثم ذهب فيما بعد إلى الولايات المتحدة.

أما الأدميرال حبيب الله فقد بقى حتى الصيف في إيران، ثم أستطاع الهرب عبر الحدود التركية، ورحل هو الآخر إلى الولايات المتحدة.

الجنرال جهارباغ لم يعتقل، وبقى غامضاً كيف تمكن من الإفلات، مصادر عديدو تذكر، أنه شارك في المحاكم الذي أدانت زملائه من الضباط. وهو نفى ذلك، وأدعى أنه أضطر للاختفاء عدة أشهر.

DER SPIEGEL 1986–45 /44 / 43 /42